الذينَ بعثَهم اللهُ أحياءً

ودلالة

قصصهم على عقيدة البعث

إعـــداد

د / أحمد رفاعى عبد اللاه محمد الوقدى

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدمة

الحمد لله على أن بيَّنَ للمستهدين معالم مراده ، ونصب لجحافل المستفتحين أعلام إمداده؛ فأنزل القرآن قانوناً عاماً معصوماً، وأعجز بعجائبه فظهرت يوماً فيوماً وجعله مصدقاً لما بين يديه ومهيمناً، وما فرط فيه من شيء ، يعظ مسيئاً ، ويعد محسناً حتى عرفه المنصفون من مؤمن وجاحد ، وشهد له الراغب والمحتار والحاسد ؛ فكان الحال بتصديقه أنطق من اللسان ، وبرهان العقل فيه أبصر من شاهد العيان ، وأبرز آياته في الآفاق فتبين للمؤمنين أنه الحق ، كما أنزله على الرسول الأمي فبه ساد الحكماء المربين ، فلم يزل كتابه مشعاً نيراً محفوظاً من لدنه أن يترك فيكون مبدلاً ومغيراً .

فصلاة الله وسلامه على رسوله وآله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه نجوم الاقتداء للسائرين والماخرين. أما بعد،

فهذه محاولة لارتشاف رشفة من فيض القرآن الكريم لعلها تساهم في ري من ظمأ نحو فهم بعض نصوص الآيات العقائدية وقد قصرتها على نماذج سورة البقرة لكي أخلو من شبهة الإطالة والإطناب؛ فكانت تحت مسمى

"الذين بعثهم الله أحياء ودلالة قصصهم على عقيدة البعث"

وجاءت الدراسة في: -

مدخل وثلاثة مباحث وخاتمة:

أما المدخل فكان بعنوان " أهم طرق الاستدلال في القرآن الكريم"

أما المبحث الأول فقد جاء تحت عنوان"بعضٌ من أحكام الروح"

أما المبحث الثاني فجعلته حول " قضية الموت والبعث "

أما المبحث الثالث فكان بعنوان : " من أحياهم الله من خلال سورة البقرة "

والله أسأل أن ينفع به قارئه ، وأن يتجاوز عما فيه من نقص بمنه و بفضله فإنه نعم المولى ونعم النصير.

والله من وراء القصد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمهيد

أهم طرق الاستدلال في القرآن الكريم على قضية البعث

إن الله تعالى مَنَّ على الأمة الإسلامية بكتابه العزيز والذي تكفل بحفظه ، وقد ضمنه العديد والغزير من دلائل القدرة على المعاد وفيض براهينه على حقيقة البعث ما لا يقدر احد على ان يأتي بقريب منه مهما صفت القريحة أو علا القياس وذكر فيه من أصناف الحجج ما ينتفع به عامة الخلق بسيطهم ومتخصصهم.

"فإنه سبحانه دل على إمكان إحياء الموتى وقدرته على ذلك بطريق الوجود والعيان وبطريق الاعتبار والبرهان والأول أعظم الطريقين فلا شيء أدل على إمكان الشيء من وجوده فذكر في كتابه ما أحياه من الموتى في غير موضع".[1]

أولا طريق الوجود والعيان:

وهو طريق بلوغ عين اليقين بالمشاهدة والرؤيا.

كما قال تعالى في سورة البقرة: في قصة موت بني إسرائيل الذين سألوه الرؤية:-

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦) ﴾

وقال في قصة البقرة:

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(٧٣)﴾

---

(١) ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، دار الكنوز الأدبية، الرياض، ١٣٩١ تحقيق، محمد رشاد سالم، عدد الأجزاء، ١٠، ج٤، ص٦٠.

وقال في الذين خرجوا من ديارهم:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ (٢٤٣) ﴾

وقال تعالى في قصة الملك النمرود:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

وقال تعالى في قصة العزير:

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَـَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) ﴾

وهذا يبين قدرته ــ تعالى ــ على إحياء الموتى بما ضربه لنا مثلاً فيما سبق من إحياء الآدميين والبهائم ، وكما يدلل لنا ــ سبحانه ــ على قدرته على إبقاء الأطعمة والأشربة لأهل الجنة في دار الحيوان بأعظم الدلالات.

وذكر بعد ذلك قول إبراهيم عليه السلام :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ

يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠) ﴾

وجيء بمن التي هي للتبعيض للدلالة على أن الأربعة مختلفة الأنواع، والظاهر أن حكمة التعدد والاختلاف زيادة في تحقق أن الإحياء لم يكن لم يكن أهون في بعض الأنواع دون بعض ، فلذلك عددت الأنواع، ولعلّ جعلها أربعة ليكون وضعُها على الجهات الأربع : المشرق والمغرب والجنوب والشمال لئلاً يظنّ لبعض الجهات مزيد اختصاص بتأتي الإحياء .

فأمره ــ سبحانه ــ بخلط الأطيار الأربعة مثلا مضروباً لاختلاط الأخلاط الأربعة ثم أحيا الأطيار وميَّز بين هذا وهذا وجعلهن يأتين سعياً إجابة لدعوة الداعي فكان في ذلك من الدليل ما لا يخفى على ذي تحصيل.

فهذه القصص فيها من الإخبار بالموجود ما هو من أعظم الدلائل على القدرة والإمكان لإحياء الله الموتى وصدق هذه الأخبار يعلم بما به يعلم صدق الرسول ، ويعلم بأخبار أخرى من غير طريق الرسول .

ثانيا طريق الاعتبار والبرهان:

وهو طريق إثبات الإمكان والقدرة بالاعتبار والقياس بطريق قياس الغائب على الشاهد.

فإنه سبحانه يستدل على ذلك تارة بخلق النبات ويبين أن قدرته على إحياء الموتى كقدرته على إنبات النبات ، وتارة يستدل على ذلك بخلق الحيوان نفسه وأن قدرته على الإعادة كقدرته على الابتداء وأولى وتارة يبين ذلك بقدرته على خلق السماوات والأرض كما في قوله تعالى في سورة الحج :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ (٧) ﴾

وقال تعالى في سورة الواقعة:

﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) ﴾

المبحث الأول

بعضٌ من أحكام الروح



معنى الروح(1)

والروح في القرآن على عدة أوجه:

أحدها: الوحي كقوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾(2) وقوله تعالى ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾(3) وسمى الوحي روحاً لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح.

الثاني: القوة والثبات والنصرة التي يؤيد بها من شاء من عباده المؤمنين كما قال سبحانه ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾(4).

الثالث: جبريل عليه السلام كقوله تعالى ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾(5) وقال تعالى ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ

---

(1) وهنا وقبل الخوض في البحث لزم التنبيه على الفرق بين الروح الآدمي التي بها الحياة وبين الروح التي تتنزل مع الملائكة

والروح الآدمي:

لطيفة نورانية تفوق بها الإنسان على جميع مركباته المادية.

الروح التي تتنزل مع الملائكة:

روى عبد الرزاق عن الثوري عن مسلم عن مجاهد قال الروح يأكلون ولهم أيد وأرجل ولهم رؤوس وليسوا بملائكة خلق على صورة بني آدم.

وروى أيضا عبد الرزاق عن الثوري عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح قال الروح يشبهون الناس وليسوا بالناس.

أنظر: تفسير الصنعاني جزء ٣ - صفحة ٣٤٤

وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي عنه قال الروح : أمر من أمر الله وخلق من خلق الله وصورهم على صورة بني آدم وما ينزل من السماء ملك إلا ومعه واحد من الروح ثم تلا ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا ﴾

أنظر: فتح القدير، ج٣، ص.٣١٤

(2) سورة الشورى آية : ٥٢ .

(3) سورة غافر آية : ١٥ .

(4) سورة المجادلة آية : ٢٢ .

(5) سورة الشعراء الآيتان : ١٩٣ ، ١٩٤ .

اللهِ ﴾[1] وهو روح القدس قال تعالى ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾[2].

الرابع: الروح التي سأل عنها اليهود فأجيبوا بأنها من أمر الله وقد قيل : إنها الروح المذكورة في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴾[3] وأنها الروح المذكور في قوله تعالى ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾[4].

الخامس: المسيح ابن مريم عليه السلام قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[5].

وأما أرواح بني آدم فلم تقع تسميتها في القرآن إلا بالنفس قال تعالى ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾[6] وقال تعالى ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾[7]. وقال تعالى ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ ﴾[8] وقال تعالى ﴿ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ﴾[9] وقال تعالى :﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾[10] وقال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾[11] .

---

(١) سورة البقرة آية : ٩٧ .

(٢) سورة النحل آية : ١٠٢ .

(٣) سورة النبأ آية : ٣٨ .

(٤) سورة القدر آية : ٤ .

(٥) سورة النساء آية ١٧١ .

(٦) سورة الفجر آية : ٢٧ .

(٧) سورة القيامة آية : ٢

(٨) سورة يوسف آية : ٥٣ .

(٩) سورة الأنعام آية : ٩٣ .

(١٠) سورة الشمس الآيتان : ٧، ٨ .

(١١) سورة الأنبياء آية : ٣٥ .

وأما في السنة فجاءت بلفظ النفس والروح.[1] .

قال الشيخ عبد الرءوف المنياوي: قد خاض سائر الفرق غمرة الكلام في الروح فما ظفروا بطائل ولا رجعوا بنائل ، وفيها أكثر من ألف قول ، وليس فيها على ما قال ابن جماعة قول صحيح بل كلها قياسات وتجليات عقلية.[2]

وبالجملة : فإن الوقوف على حقيقة الروح أمر عسر والطريق إليه طريق وعر وقد جعل الله سبحانه ذلك من أعظم آياته الدالة على جلال ذاته وكمال صفاته فسبحانه من إله ما أجله ومن رب ما أكمله فقعوا له ساجدين.

قال تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾.[3]

أي من شرعه ، أي فادخلوا فيه وقد علمتم ذلك لأنه لا سبيل إلى معرفة هذا من طبع ولا فلسفة وإنما ينال من جهة الشرع وفي هذا المسلك الذي طرقه وسلكه نظر.[4]

يقول القرطبي:

الروح : جسم لطيف أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم وحقيقته إضافة خلق إلى خالق فالروح خلق من خلقه أضافه إلى نفسه تشريفا وتكريما كقوله : أرضي وسمائي وبيتي وناقة

---

(١) ابن قيم الجوزية، الروح، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٧٥، ص١٥٣.
(٢) الألوسي ، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١٤، ص ٣٩.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الحديث، القاهرة، ١٩٨٨م ، ج٣، ص٨٤.

الله وشهر الله ومثله ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [1]

يقـول البغـوي: والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان وأضافه إلـى نفسه تشريفا.[2]

قال الجنيد: الروح شيء استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه فلا يجوز لعباده البحث عنه بأكثر من أنه موجود ، وقاله بعضهم، وعلى هذا ابن عباس وأكثر السلف.[3]

وقـالوا: إن الروح ليست هي مطلق حياة الجسم العارضة بل هـي حقيقة أخرى مستقلة يعمر الجسد بحلولها فيه ويفسد بخروجها منه.[4]

ومن الواضح أن الروح لم يقف أحد لها على حقيقة ماهية ومعرفة كيفية وقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ حبر الأمـة ـ أنـه كان لا يفسر الروح.

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص٢٤ ط: دار النشر : دار الشعب القاهرة .

(٢) البغوي، معالم التنزيل، ص٣٨٠ حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر ـ عثمـان جمعة ضميرية ـ سليمان مسلم الحرش ، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م .

(٣) مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي، أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، مؤسسة الرسـالة، بيـروت، ط١، ١٤٠٦تحقيـق، شـعيب الأرناؤوط، ص ١٩١. أنظر أيضا: التعرف لمذهب التصوف، ص٦٧.

(٤) حافظ بن أحمد حكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصـول، دار ابـن القيم، الدمام، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، تحقيق ، عمر بن محمود أبو عمر، عدد الأجزاء : ٣، ج٢، ص ٧٩٤.

هل الروح هي النفس أم غيرها ؟؟

اختلف الناس في الروح والنفس هل هما شيء واحد أم شيئان فحكى ابن زيد عن أكثر العلماء أنهما شيء واحد فقد صح في الأخبار إطلاق كل منهما على الآخر وما أخرجه البزار بسند صحيح عن أبي هريرة ﷺ رفعه : أن المؤمن ينزل به الموت ويعاين ما يعاين يود لو خرجت نفسه والله تعالى يحب لقاءه وأن المؤمن تصعد روحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه عن معارفه من أهل الدنيا.الحديث ظاهر في ذلك.

أولا من قال إنهما شيء واحد :

قرر السهيلي أنها: ذاتٌ لطيفة كالهواء سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر.

وقرر: أن الروح التي ينفخها الملك في الجنين هي النفس بشرط اتصالها بالبدن واكتسابها بسببه صفات مدح أو ذم.

وأنها على صنفين:

إما نفس مطمئنة ، أو أمارة بالسوء .

كما أن الماء هو حياة الشجر ثم يكسب بسبب اختلاطه معها اسماً خاصاً فإذا اتصل بالعنبة وعصر منها صار إما عصيراً أو خمراً ولا يقال له ماء حينئذ إلا على سبيل المجاز وكذا لا يقال للنفس روح إلا على هذا النحو وكذا لا يقال للروح نفس إلا باعتبار ما تؤول إليه.

وعليه : فإن الروح هي أصل النفس ومادتها والنفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن فهي هي من وجه لا من كل وجه.[1]

---

(١) تفسير ابن كثير، ، ج٣، ص٨٤ ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ط: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الثالثة ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م . بتصرف يسير.

وينقل لنا صاحب اللسان:

قال ابن سيده: النَّفس الرُّوحُ ، قال أبو إسحق : النَّفْس فـي كـلام العرب يجري على ضربين:

أحدهما: قولك خَرَجَتْ نَفس فلان أي رُوحُه وفي نفـس فـلان أن يفعل كذا وكذا أي في رُوعِه.

الآخر: مَعْنى النَّفس فيه مَعْنى جُمْلَةِ الشيء وحقيقته تقول قتَل فلانٌ نَفْسَه وأهلك نفسه أي أوْقَعَ الإهلاك بذاته كلها وحقيقتِه والجمع من كل ذلك أَنْفُس ونُفُوس، والنفس ههنا الروح كما ذكر ومنه قـولهم فَاظَـتْ نَفْسُه.(1)

وفي حديث محمد بن كعب [إذا اسْتَنْقَعَتْ نَفْسُ المؤمنِ جاءَه ملَكُ الموتِ](2)

أي إذا اجْتَمَعَتْ في فِيهِ تريد الخروج كما يَسْتَنْقِعُ الماءُ في قَـرارِه وأراد بالنفْسِ الرُّوحَ.(3)

النَّفْسُ : الرُّوحُ.(4)

---

(1) ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ج٦، ص٢٣٣.

(2) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ج١ ص٤٧٠ حديث رقم ٤٣١ . دار الكتب العلمية ــ بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠هــ تحقيق محمدْ السعيد بسيوني زغلول بلفظ : " إذا استنقعت حياة المؤمن جاءه ملك الموت فقال السلام عليك يا ولي الله إن الله يقـرأ عليـك السلام " قال : ثم قرأ هذه الآية : ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾النحل آية رقم : ٣٢

(3) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٨، ص٣٥٩.

(4) محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص٧٤٥ ط: مؤسسة الرسـالة ــ بيروت .

الرُّوحُ بالضّمّ " النّفْسُ . وفي التّهذيب : قال أبو بكرِ بنُ الأنبارِيّ : الرُّوح والنَّفْسُ واحدٌ غير أن الرُّوح مذكّر والنَّفْس مُؤنَّثة عند العرب.[1]

يقول القرطبي: النفس : الروح

يقال: خرجت نفسه أي روحه.

قال أبو خراش:

نجا سالم والنفس منه بشدقه ولم ينج إلا جفن سيف ومئزرا

ومن الدليل على أن النفس الروح قوله تعالى:

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾[2]

وقيل: المراد بالنفس الروح.[3]

قال جماعة من أهل العلم:

الروح والنفس شيء واحد ومن حجتهم قوله الله عز وجل:

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾[4]

فروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير في هذه الآية أنهما قالا تقبض أرواح الأموات إذا ماتوا وأرواح الأحياء إذا ناموا تتعارف ما شاء الله أن تتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت التي قد ماتت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى وذلك واضح في أن النفس والروح

---

(١) تاج العروس للزبيدي ج١ ص١٥٩٦ ط : دار الهداية ، تحقيق : مجموعة من المحققين .

(٢) تفسير القرطبي، ج١، ص٤٠٨، أنظر أيضا: محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ج١ ص١٢٢، ط: دار الفكر – بيروت . والآية :٤٢ من سورة الزمر.

(٣) محمد بن محمد العمادي أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٩، ص ١٥٩.

(٤) سورة الزمر آية : ٤٢ .

سواء ويشهد بصحة ذلك قول رسول الله ﷺ في هذا الحديث: "إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَنَا "[1]

ولم ينكر على بلال ﷺ قوله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك.

فالقرآن والسنة يشيران إلى معنى واحد بلفظ النفس مرة وبلفظ الروح أخرى.[2]

قال ابن حجر: والمراد بالنفس الروح وتكرر في مواضع.[3]

وقال صاحب فتح القدير: النفس :الروح[4] ومنه قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾

وإلى هذا ذهب صاحب التعريفات حيث قال:

" النفس هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية وسماها الحكيم : الروح الحيوانية فهو جوهر مشرق للبدن فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه وأما في وقت النوم فينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه فثبت أن النوم والموت من جنس واحد لأن الموت هو الانقطاع الكلي والنوم هو الانقطاع الناقص فثبت أن القادر الحكيم دبر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أضرب:

الأول: إن بلغ ضوء النفس إلى جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ كتاب وقوت الصلاة ـ باب النوم عن الصلاة ج١ ص ٣٣ حديث رقم ٢٦ ط : وزارة الأوقاف المصرية ،

(٢) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وزارة الأوقاف، المغرب، ١٣٨٧، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري، ج٥،.ص٢٤١.

(٣) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩، عدد الأجزاء : ١٣، ج١، ص ١٩٧.

(٤) الشوكاني، فتح القدير، ج١، ص١٢٢.

فهو اليقظة.

الثاني:إن انقطع ضوءها عن ظاهره دون باطنه فهو النوم.

الثالث: إن انقطع ضوءها عن ظاهره وباطنه بالكلية فهو الموت.

وفي أقسام النفس يقول:

النفس الأمارة: هي التي تميل إلى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات الحسية وتجذب القلب إلى الجهة السفلية فهي مأوى الشرور ومنبع الأخلاق الذميمة.

النفس القدسية: هي التي لها ملكة استحضار جميع ما يمكن للنوع أو قريباً من ذلك على وجه يقيني وهذا نهاية الحدس.

النفس اللوامة: هي التي تنورت بنور القلب قدر ما تنبهت به عن سنة الغفلة كلما صدرت عنها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية أخذت تلوم نفسها وتتوب عنها.

النفس المطمئنة: هي التي تم تنورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالأخلاق الحميدة.

النفس الناطقة: هي الجوهر المجرد عن المادة في ذواتها.(١)

ومذهب أهل السنة أن (الرُّوحَ) هو النفس الناطقة المستعدة للبيان وفهم الخطاب ولا تفنى بفناء الجسد وأنه جوهر لا عرض ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ والمراد هذه (الأَرْوَاحُ) (٢) الرُّوحُ النَّفْسُ التي يحيا بها البدن يقال خرجت رُوُحُهُ أي نَفْسُه

---

(١) علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ص٣٠٤ .

(٢) أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت، ج١، ص ٢٤٥.

ويقال خَرَجَ فيُذَكَّرُ والجميعُ أرواحٌ.[1]

ثانيا من قال إنهما مختلفتان:

قال صاحب فتح القدير: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الآية.

نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس.

فيتوفى الله النفس في منامها ، ويدع الروح في جوفه تتقلب وتعيش ، فإن بدا له أن يقبضه قبض الروح فمات ، وإن أخر أجله رد النفس إلى مكانها من جوفه.[2]

قال البغوي: للإنسان نفس وروح فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح.[3]

قاله البيضاوي أيضا: روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن في ابن آدم نفسًا وروحًا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز.

والروح التي بها النفس والحياة.

فيتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم.[4]

واختاره أيضاً النسفي.[5]

وقال ابن حبيب: هما شيئان.

فالروح هو: النفس المتردد في الإنسان

---

(١) أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار ومكتبة الهلال، تحقيق : د /مهدي المخزومي عدد الأجزاء : ٨ ، ج٣ ص٢٩١ .

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ج٤، ص ٦٦٢.

(٣) البغوي، معالم التنزيل ، ج١، ص ١٢١.

(٤) تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تأليف : ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، ج١، ص٦٩ ط: دار الفكر بيروت.

(٥) تفسير النسفي، ج٤، ص ٥٦ .

والنفس: أمر غير ذلك لها يدان ورجلان ورأس وعينان.وهي التي تلتذ وتتألم وتفرح وتحزن وإنها هي التي تتوفى في المنام وتخرج وتسرح وترى الرؤيا ويبقى الجسد دونها بالروح فقط لا يلتذ ولا يفرح حتى تعود.

وحكى ابن منده عن بعضهم: أن النفس طينية نارية.

والروح نورية روحانية.(١)

قال ابن برجان في شرح أسماء الله تعالى الحسنى: والنفس مبرأة من باطن ما خلق منه الجسم، وأوجد تبارك وتعالى الروح من باطن ما برأ منه النفس ، وهو للنفس بمنزلة النفس للجسم.(٢)

وقال أبو الهذيل: النفس معنى غير الروح.

والروح غير الحياة.

والحياة عنده عرض.(٣)

وقال آخرون: النفس غير الروح واحتجوا بأن النفس مخاطبة منهية مأمورة واستدلوا بقول الله عز وجل: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ*ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾.(٤)

وقوله تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ

---

(١) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ، ج١٥، ص١٥٧ ط : دار إحياء التراث العربي ــ بيروت .

(٢) نفس المصدر، ج١٥، ص ١٦٢ .

(٣) علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، تحقيق:هلموت ريتر، ص ٣٣٧ .

(٤) سورة الفجر، الآيات: ٢٧ــ ٢٨.

لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾.[1]

ومثل هذا في القرآن كثير قالوا والروح لم تخاطب ولم تؤمر ولم تنه في شيء من القرآن ولم يلحقها شيء من التوبيخ كما لحق النفس في غير آية من كتاب الله عز وجل.[2]

وجاء في عمدة القارئ: والأصح أنهما متغايران فإن النفس الإنسانية هي الأمر الذي يشير إليه كل واحد منا بقوله أنا.[3]

قال الألوسي: النفس ناسوتية ، والروح لاهوتية ، وذكر أن أهل الأثر على المغايرة.[4]

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٦.

(٢) ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ج٥ ، ص٢٤٢ ، ط : وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية ـ المغرب ، ١٣٨٧هـ تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكرى .

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، تأليف : بدر الدين محمود بن أحمد العيني ، ج٢ ص٢٠١ ط: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

(٤) الألوسي، روح المعاني ، ج١٥، ص ١٥٨ .

لم يقل الخلاف في هذا الشأن عنه الحال في هل النفس هي الروح أم غيرها؟ فكان المفسرون والمتكلمون والفلاسفة في هذا الأمر أيضا طرائق قددا.

أولا من قال بالجسمية:

جمهور أهل السنة على أنها جسم لطيف يخالف الأجسام بالماهية والصفة متصرف في البدن حال فيه حلول الزيت في الزيتون والنار في الفحم يعبر عنه بأنا وأنت وإلى ذلك ذهب إمام الحرمين.[١]

وجاء في تفسير الجلالين:

والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه.[٢]

وقال اللقاني: جمهور المتكلمين على أنها جسم مخالف بالماهية للجسم الذي تتولد منه الأعضاء نوراني علوي خفيف حي لذاته نافذ في جوهر الأعضاء سار فيه سريان ماء الورد في الورد والنار في الفحم لا يتطرق إليه تبدل ولا انحلال بقاؤه في الأعضاء حياة وانفصاله عنها إلى عالم الأرواح موت.[٣]

قال أبو عبد الله النباجي: الروح جسم يلطف عن الحس ويكبر عن اللمس ولا يعبر عنه بأكثر من موجود.[٤]

الروح: أجسام لطيفة يجتمع مع الأجسام المحسوسة والله تعالى

---

(١) الألوسي، روح المعاني ، ج١٤، ص ٣٩.
(٢) جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ص٦٠٤ .
(٣) الألوسي، روح المعاني ، ج١٤، ص٣٩ .
(٤) محمد الكلاباذي أبو بكر لكتاب، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٠، ص٦٧ .

أجرى العادة أن الحياة تستمر في الأجسام المحسوسة إذا كانت تلك الأجسام اللطيفة مجتمعة معها وتفارقها الحياة إذا فارقتها تلك الأجسام.[1]

قال النظام: الروح هي جسم.[2]

قال النووي: إن الروح أجسام لطيفة متخللة في البدن وتذهب الحياة من الجسد بذهابها[3]

وقال الجبائى: إن الروح جسم وإنها غير الحياة والحياة عرض.[4]

ثانيا: من قال إنها جوهر:

جوهر مجرد غير متحيز ولا حال في متحيز.

يكون معنى النفخ عنده: تهيئة البدن لتعلق النفس الناطقة.[5]

وذكر البعض أنها: جوهر مجرد وأنه متعلق بالبدن كتعلق العاشق عشقاً جبلّيا إلهامياً بالمعشوق حتى إنه لا ينقطع ذلك التعلق ما دام البدن مستعداً.[6]

وقال الجلال: فلا تكون النفس جسماً أصلاً لأن غاية ذلك إثبات أن النفس وراء هذا البدن لا إثبات أنها مع ذلك مجردة لجواز أن تكون جسماً لطيفاً.[7]

---

(١) أبو سعيد عبد الرحمن المتولي الشافعي، الغنية في أصول الدين، مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٨٧، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر، ص١٦٥ .
(٢) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص ٣٣٣.
(٣) مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء : ٥، مع الكتاب : تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، ج٢ ، ص ٦٣٤ .
(٤) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص ٣٣٤.
(٥) الشوكاني، فتح القدير، ج٣، ص ١٨٦.
(٦) الألوسي، روح المعاني ، ج١٤، ص ٣٩.
(٧) نفس المصدر والصفحة.

وقيل: هي غير الجسم وإنها مدبرة الجسم وغير الجسم لا يكون جسماً.(١)

ثالثا : من قال إنها عرض:

يقول الجهم بن صفوان: إن الروح ليست شيئاً يقوم بنفسه بل عرض والعرض في هو ما لا يستقل ولا يستقر بنفسه.(٢)

وقال الأشعري في مقالاته: وقال قائلون الروح عرض.(٣)

وقال جعفر بن حرب: النفس عرض من الأعراض يوجد في هذا الجسم وهو أحد الآلات التي يستعين بها الإنسان على الفعل كالصحة والسلامة وما أشبههما وإنها غير موصوفة بشيء من صفات الجواهر والأجسام.(٤)

وقيل: الروح عرض لأنه لو كان جوهراً والجواهر متساوية في الجوهرية للزم أن يكون للروح روح آخر وهو فاسد.(٥)

وزعم القاضي: أن مذهب أكثر المتكلمين أن الروح عرض وأنها هي الحياة.(٦)

قال القاضي أبو بكر الباقلاني: الروح عرض وهو الحياة فقط.(٧)

---

(١) أحمد بن علي بن ثابت الرفاعي الحسيني، الكتاب : البرهان المؤيد، دار الكتاب النفيس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨، تحقيق:عبد الغني نكهمي، ص ١٨٦.

(٢) حافظ بن أحمد حكمي، معارج القبول، ج٢، ص ٧٩٤.

(٣) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص ٣٣٤.

(٤) نفس المصدر، ص ٣٣٧ .

(٥) عمدة القاري ج٢ ص٢٠١ .

(٦) وقد لاحظنا من خلال إطلاعنا أن أفلاطون ذهب إلى قدم الروح هو ومن تقدمه من الفلاسفة، وذهب أرسطو إلى حدوثها مع حدوث البدن المستعد له كما ذهب إليه بعض الإسلاميين.

(٧) ابن القيم، الروح، ص ١٧٧ ط: دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م .

الروح بين الفناء والخلود

أ- من قال ببقائها:

جاء في العقيدة السفارينية:

وأن أرواح الورى لم تعدم — مع كونها مخلوقة فاستفهم

فكل ما عن سيد الخلق ورد — من أمر هذا الباب حق لا يرد[1]

وبناء على ما يفهم من البيت الأول أن الروح لا ينالها عدم قط مع كونها مخلوقة لله تعالى وداخلة في قبضة قدرته سبحانه.

واختاره شارح الطحاوية فقال:

وصعق الأرواح عند النفخ في الصور لا يلزم منه موتها فإن الناس يصعقون يوم القيامة إذا جاء الله لفصل القضاء وأشرقت الأرض بنوره وليس ذلك بموت.[2]

وجاء في معارج القبول:

وكذلك الأرواح لا تبلى كما — تبلى الجسوم ولا يلى اللحمان[3]

وقال ابن حجر: " إن الروح لا تفنى بفناء الجسد لأن العرض لا يقع إلا على حي"[4]

قال الألوسي: إن الروح تسلم من العطب وهو الهلاك.[5]

يقول ابن القيم: قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الأمة أن الروح

---

(١) محمد بن أحمد السفاريني، العقيدة السفارينية(الدرة المرضية في عقيدة أهل الفرقة المرضية)، ص٧٥، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط١ ، ١٩٩٨م، تحقيق أبو محمد أشرف بن عبد المقصود .

(٢) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٩٠، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩١.

(٣) حافظ بن أحمد حكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، ج٢، ص٧٧٨، دار ابن القيم، الدمام ط ١ ، ١٩٩٠م ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر.

(٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٣، ص٢٤٣، دار المعرفة، بيروت ، ١٣٧٩هـ، تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي.

(٥) الألوسي، الآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ص٩١.

تبقى بعد فراق البدن وأنها منعمة أو معذبة.[1]

قال ابن تيمية: " كما أن الفلاسفة الإلهيين المشاءين وغيرهم متفقون على الإقرار بواجب الوجود وببقاء الروح بعد الموت".[2]

جاء في مقالات الإسلاميين: وذكر عن ارسطاطاليس ان النفس معنى مرتفع عن الوقوع تحت التدبير والنشوء والبلى.[3]

ب ـ من قال بفنائها:ـ

وزعم قوم أن الأرواح تفنى ولا وجود لها في البرزخ حتى يحييها الله عند إحياء أجساها.[4]

وهذا مكابرة لأحاديث رسول الله ﷺ ونبذ لنصوصها المتواترات ولظاهر القرآن في قوله تعالى:

﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾.[5]

حيث روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

[من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله عز وجل في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة].[6]

وقد احتج بعضهم على فناء الأرواح وموتها بما روى عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المقابر قال : **[السلام عليكم أيتها الأرواح الفانية والأبدان**

---

(١) ابن القيم، الروح، ص٥١ .

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى،ج٢، ص٨٦ ط : مكتبة تيمية ، الطبعة الثانية تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي .

(٣) الأشعري، مقالات الإسلاميين ، ص ٣٣٦.

(٤) أبي عبد الله محمد بن جعفر الإدريسي الكتاني، نظم المتناثر من الحديث المتواتر ، ج١، ص ١٢٦ ط: دار الكتب السلفية ـ مصر ، تحقيق: شرف حجازي.

(٥) سورة النازعات، الآية: ٤٦.

(٦) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،تفسير أبي السعود ج٩، ص ١٠٦ .

البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بالله مؤمنة اللهم أدخل عليهم روحا منك وسلاما منا]. [(١)]

ج ـ من وفق بين الرأيين:

فإن سأل سائل أتموت النفس قلنا نعم لأن الله تعالى نص على ذلك فقال كل نفس ذائقة الموت وهذا الموت إنما هو فراقها للجسد فقط .

برهان ذلك قول الله تعالى: ﴿ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾. [(٢)]

وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. [(٣)]

فصح أن الحياة المذكورة إنما هي ضم الجسد إلى النفس وهو نفخ الروح فيه، وأن الموت المذكور إنما هو التفريق بين الجسد والنفس فقط ، وليس موت النفس مما يظنه أهل الجهل وأهل الإلحاد من أنها تعدم جملة بل هي موجودة قائمة كما كانت قبل الموت وقبل الحياة الأولى.

ولا أنها يذهب حسها وعلمها بل حسها بعد الموت أصح ما كان وعلمها أتم ما كان وحياتها التي هي الحس والحركة الإرادية باقية بحسبها أكمل ما كانت قط قال عز وجل:

﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. [(٤)]

---

(١) عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب، أهوال القبور، ج١، ص١٨٧. وهذا الحديث خرجه ابن السني من حديث عبد الوهاب بن جابر التيمي حدثنا حبان بن علي عن الأعمش عن أبي رزين عن ابن مسعود عن النبي ﷺ وهذا لا يثبت رفعه وعبد الوهاب لا يعرف وحبان ضعيف.

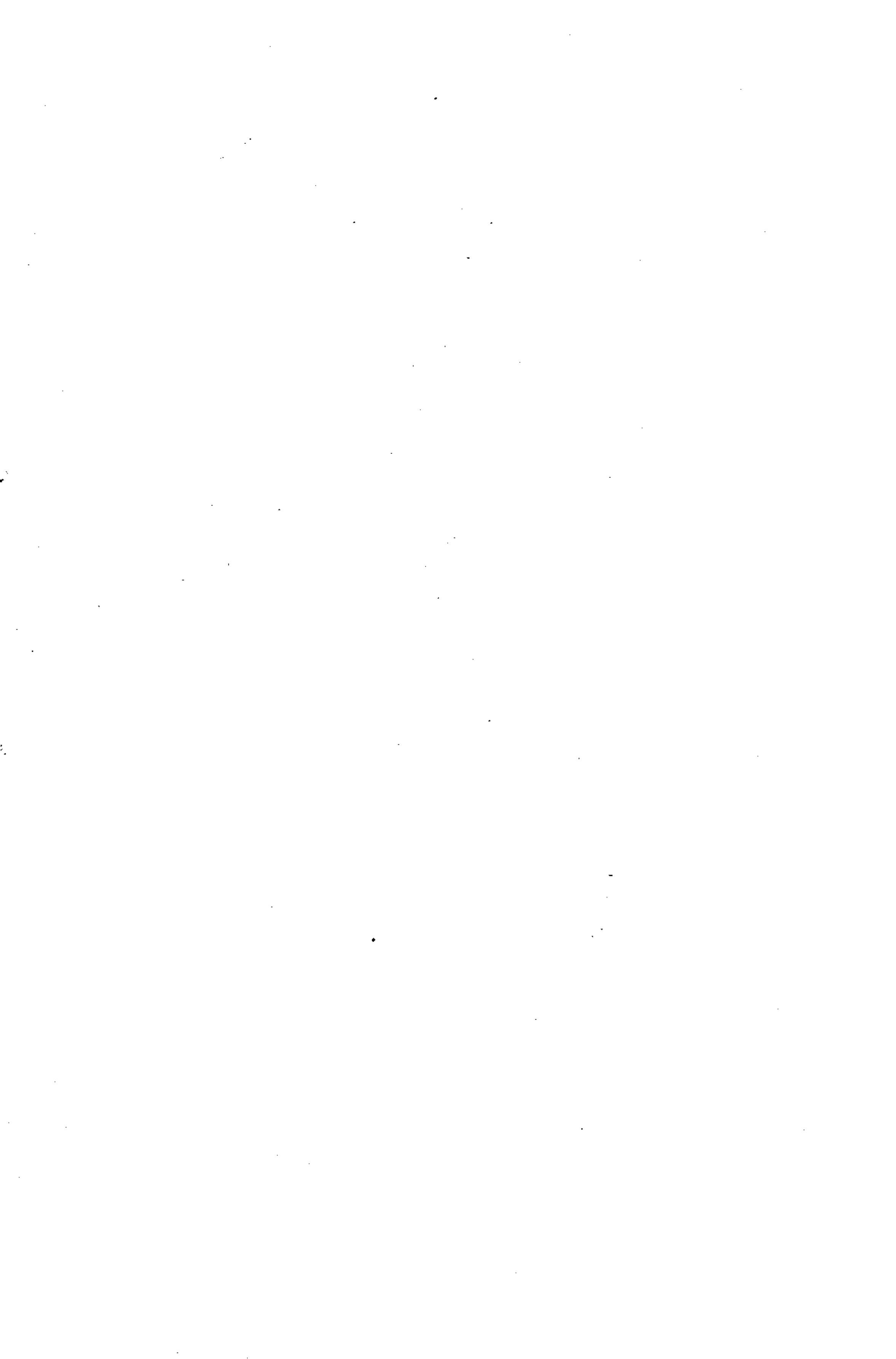
(٢) سورة الأنعام الآية:٩٣.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٨.

(٤) سورة العنكبوت، الآية :٦٤

وهي راجعة إلى البرزخ حيث رآها رسول الله ﷺ في مسراه عن الميمنة من آدم عليه السلام ومشئمته إلى أن تحيا ثانية بالجمع بينها وبين جسدها يوم القيامة.[1]

(١) أبو محمد علي بن أحمد بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، عدد الأجزاء : ٥، ج٥ ، ص ٥٦.



المبحث الثاني

الموت والبعث



الموت

اعلم أن للناس في حقيقة الموت طرائق قددا ومذاهب شتى فمن مؤمن بكتاب سماوي ، ومن منكر لذلك ، فيكون رأي أناس لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء فجاءت آراؤهم ظنوناً كاذبة قد أخطأوا فيها.

وأقول: لا يعرف أحد حقيقة الموت وحقيقة الجنة والنار إلا بعد الموت ودخول الجنة أو النار ـ لأن جميع أخبارهما وأوصافهما جاءت عن طريق السمع لذا سماها علماء الكلام ـ السمعيات ـ ولأن الجنة عبارة عن نعيم دائم لا شبيه له في هذه الحياة الدنيا فهي وإن كانت بديهية لورود أوصاف نعيمها في القرآن الكريم ، إلا أنه كما قال المناطقة قد يحتاج البديهي إلى تنبيه لكي يصل إلى ما يسمونه في المنطق البديهي الجلي، ولو فرضنا شخصاً لم يدرك قط لذة لم يمكننا أصلا أن نفهمه الجنة تفهيما يرغبه في طلبها.

أولا : معنى الموت عند أهل اللغة:

(مات) الحيُّ ـ مَوْتاً: فارقته الحياةُ.[1]

قال ابن منظور: المَوْتُ والمَوَتانُ ضِدُّ الحياة والمُواتُ بالضم المَوْتُ ماتَ يَمُوتُ مَوْتاً ويَمات.[2]

وقال صاحب مختار الصحاح: المَوْتُ ضد الحياة ماتَ يمُوت ويَمَاتُ أيضا فهو مَيِّتٌ ومَيْتٌ مُشددا ومُخففا وقوم مَوْتَى وأَمْواتٌ ومَيِّتُون ومَيْتُون مشددا ومُخففا ويستوي فيه المُذكر والمُؤنث .

---

(١) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، طبعة ٢٠٠٣، ص ٥٩٤ ط : دار الدعوة ، تحقيق : مجمع اللغة الغربية .

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص ٩٠.

قال الله تعالى : ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾ ولم يقل مَيِّتة و المَيْتَةُ ما لم تلحقه الذَّكاة والمُوَاتُ بالضم الموت ، والمَوَاتُ بالفتح ما لا روح فيه والمَوات أيضا بالفتح الأرض التي لا مالِك لها ولا ينتفع بها أحد و المَوَتَانُ بفتحتين ضد الحَيَوانِ يُقال أَماتَهُ الله ومَوَّتَهُ أيضا والمُتَماوِتُ من صفة النَّاسِك المُرائي.[1]

وقيل: الموت مفارقة الروح الجسد وقد مات الإنسان يموت ويمات بفتح الياء وتخفيف الميم فهو ميت وميت بإسكان الياء وقوم موتى وأموات وميتون بتشديد الياء وتخفيفها .

قال الجوهري ويستوي في قولك ميت وميت المذكر والمؤنث قال الله تعالى ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾ ولم يقل ميتة ويقال أيضا ميتة.[2]

من أسماء الموت: الموت، والحتف، والمنون، وشعوب، والسام، والحمام، والردى، والحين، والثكل، والوفاة، والهلاك.[3]

ويقال:مات، وفات، وفطس، ورهق، وتلف، وهلك، وباد، وفاد، وفاضت نفسه، وقضى نحبه، ودعي فأجاب.[4]

وجاء في الحديث الشريف:

«إِنَّ الْمَوْتَ فَزَعٌ فَإِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا ».[5]

---

(١) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، ط جديدة ، ١٤١٥ – ١٩٩٥، تحقيق : محمود خاطر، ص ٦٤٢.

(٢) أبو زكريا يحيي بن شرف بن مري النووي، تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه) دار القلم ، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ، تحقيق : عبد الغني الدقر، ص٩٤.

(٣) أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الجياني، الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، دار الجيل، بيروت، ط١ ، ١٤١١هـ ، تحقيق : د. محمد حسن عواد، ص٢٣٢.

(٤) نفس المصدر، ص ١٨٦.

(٥) صحيح مسلم كتاب الجنائز ، باب القيام للجنازة ، ج٢، ص٦٦٠ ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

ظن بعضهم أن الموت هو: العدم وأنه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وأن موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا رأى الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر.

وظن قوم أنه: ينعدم بالموت ولا يتألم بضار ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر إلى أن يعاد في وقت الحشر.

وقال آخرون: إن الروح باقية[1] لا تنعدم بالموت وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد وإن الأجساد لا تبعث ولا تحشر أصلاً.

وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أن الموت معناه تغير حال فقط وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إما معذبة وإما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فإن الأعضاء آلات الروح تستعملها حتى إنها لتبطش باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب.

---

(١) اختلف الناس في الروح، هل تموت أم لا ؟

فذهبت طائفة إلى أنها: تموت لأنها نفس وكل نفس ذائقة الموت ـ هذا على اعتبار أن الروح والنفس شيئا واحدا ـ وقد دل الكتاب على أنه لا يبقى إلا الله تعالى وحده وهو يستدعي هلاك الأرواح كغيرها من المخلوقات وإذا كانت الملائكة عليهم السلام يموتون فالأرواح البشرية أولى وأيضا أخبر سبحانه عن أهل النار أنهم يقولون أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ولا تحقق للإماتتين إلا بإماتة البدن مرة وإماتة الروح أخرى

وقالت طائفة: إنها لا تموت للأحاديث الدالة على نعيمها وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله تعالى إلى الجسد وإن قلنا بموتها لزم انقطاع النعيم والعذاب.

والصواب أن يقال :

موت الروح هو: مفارقتها الجسد فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت وإن أريد أنها تعدم وتضمحل فهي لا تموت بل تبقى مفارقة ما شاء الله تعالى ثم تعود إلى الجسد وتبقى معه في نعيم أو عذاب أبد الآبدين ودهر الداهرين. أنظر: روح المعاني ج١٥ ص١٥٩ بتصرف .

وإلى أنها لا تموت بموت البدن ذهبت الفلاسفة أيضا

والقلب ههنا: عبارة عن الروح والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة ولذلك قد يتألم بنفسه بأنواع الحزن ، والغم ، والكمد ، ويتنعم بأنواع الفرح والسرور ، وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد ، ولا يبعد أن تعاد الروح إلى الجسد في القبر.(١)

الموت هو: المنون.(٢)

وقالوا الموت هو: عدم اتصاف الجسم بالحياة سواء كان متصفا بها من قبل كما هو الإطلاق المشهور في العرف أم لم يكن متصفاً بها إذا كان من شأنه أن يتصف بها فعلى هذا يقال للحيوان في أول تكوينه نطفة وعلقة ومضغة ميت لأنه من شأنه أن يتصف بالحياة.(٣)

وقال كثير من أئمة اللغة الموت: انعدام الحياة بعد وجودها وهو مختار الزمخشري والسكاكي وهو الظاهر وعليه فإطلاق الأموات عليهم في الحالة السابقة على حلول الحياة استعارة. واتفق الجميع على أنه إطلاق شائع في القرآن فإن لم يكن حقيقة فهو مجاز مشهور قد ساوى الحقيقة وزال الاختلاف.(٤)

وقالوا: الموت هو وقوف حركة القلب وتعطيل وظائف الدورة.

---

(١) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ج٤ ص٤٩٣ .

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٣٨٩ ط : دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م .

(٣) التحرير والتنوير ج١ ص٢١٨ . ط : الدار التونسية للنشر .

(٤) المرجع السابق .

الدموية.[1]

وقال الغزالي: الموت هو القيامة الصغرى ومن مات فقد قامت قيامته وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال له ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وفيها يقال له ﴿اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ والقيامة الصغرى بالنسبة للكبرى كالولاية الصغرى بالنسبة للكبرى فإن للإنسان ولادتين أحدهما الخروج من الصلب.[2]

الموت هو: مفارقة الروح للبدن ليس إلا.[3]

فالموت هو: الخطب الأفظع والأمر الأشنع والكأس التي طعمها أكره وأبشع، وإنه الحادث الهادم للذات والأقطع للراحات والأجلب للكريهات، وإن أمراً يقطع أوصالك ويفرق أعضاءك ويفتت أعضادك ويهد أركانك لهو الأمر العظيم والخطب الجسيم وإن يومه لهو اليوم العقيم.[4]

قال العلماء: الموت ليس بعدم محض ولا بفناء صرف وإنما هو: انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار وهو من أعظم المصائب وقد سماه الله تعالى مصيبة في قوله : ﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾

فالموت هو: المصيبة العظمى والرزية الكبرى.

---

(١) التحرير والتنوير ج١ ص٢٩٠ .

(٢) عبد الرؤوف المناوي : فيض القدير شرح الجامع الصغير ج٥ ص٣ ، ط: المكتبة التجارية الكبرى ــ مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٦هـ .

(٣) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم ج١ ص٩٢ ط: دار الفكر بيروت ، ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي.

(٤) العاقبة في ذكر الموت للإشبيلي ج١ ص٣٦ ط : مكتبة دار الأقصى ــ الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م ، تحقيق : خضر محمد خضر .

قال علماؤنا: وأعظم منه الغفلة عنه والإعراض عن ذكره وقلة التفكر فيه وترك العمل له وإن فيه وحده لعبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر وفي خبر يروى عن النبي ﷺ :

[لو يعلم البهائم الموت ما يعلم بنو آدم ما أكلت سمينا](1)

وقال صاحب التاج: وغَشْيَةُ المَوْتِ : هو ما يَنُوبُ الإنْسانَ ممَّا يُغْشَى فَهْمُه.(2)

وقال أيضا: وقيل : المَوْتُ في كلام العَرَب يُطلَقُ على السُّكُون . وقالَ الأزْهريّ – ومِثْلُه في المُفْرداتِ لأَبي القَاسم الرَّاغب – ما نَصُّه:

"الموتُ يَقَعُ على أَنْواعٍ بحَسَبِ أَنواعِ الحَياة ؛ فمنها:–

- ما هو بإزاءِ القُوَّةِ النَّامِيَةِ المَوْجُودَةِ في الحَيَوان والنّباتِ كقولِه تَعالى : ﴿ يُحْيِى الأَرْضَ بعْد موْتِهَا ﴾ (3)
- ومنها : زَوالُ القُوَّةِ الحِسِّيَّةِ كقوله تعالى:﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذَا﴾(4)
- ومنها : زَوالُ القُوَّةِ العَاقِلَةِ وهي الجَهَالَةُ ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾(5) وقوله سبحانه ﴿فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتَى﴾(6)
- ومنها : الحُزْنُ والخَوْفُ المُكَدِّرُ للحَياة كقولِهِ تعالى : ﴿ وَيَأْتِيهِ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾(7)

---

(1) شعب الإيمان للبيهقي ج7 ص353 حديث رقم 10557 ط : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، 1410 تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول .
(2) تاج العروس ج1 ص8522 .
(3) سورة الروم آية : 50
(4) سورة مريم آية : 23 .
(5) سورة الأنعام آية : 122 .
(6) سورة الروم آية : 52 .
(7) سورة إبراهيم آية : 17

• ومنها : المَنامُ كقولِه تَعالى : ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [1]

وقد قيل : المنامُ : المَوْتُ الخَفيفُ والمَوْتُ : النَّومُ الثَّقِيلُ .

وقد يُستَعارُ الموت للأَحوالِ الشَّاقَّةِ كالفَقْرِ والذُّلِّ والسُّؤالِ والهـرم والمَعْصِيَةِ وغيرِ ذلك ". [2]

وبعضهم قالوا: موت ذي الروح مفارقة الروح إياه فزعموا أن كل شيء من ابن آدم حي ما لم يفارق جسده الحي ذا الروح فكل ما فـارق جسده الحي ذا الروح فارقته الحياة فصار ميتا كالعضو من أعضائه مثل اليد من يديه والرجل من رجليه لو قطعت فأبينت والمقطوع ذلك منه حي كان الذي بان من جسده ميتا لا روح فيه بفراقه سائر جسده الذي فيـه الروح. [3]

الميت بالتشديد: من لم يمت وسيموت.

الميت بالتخفيف: من قد مات وفارقته الروح. [4]

الموت: انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته له. [5]

والجسم يوصف بالموت حتى يحيا بالروح وموته مفارقة الروح. [6]

قال الفلاسفة: الموت عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حياً. [7]

---

(١) سورة الزمر آية : ٤٢.

(٢) تاج العروس ج١ ص١١٧٩ .

(٣) ابن جرير الطبري : تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل أي القرآن ج١ ص٢٢٢ ط: دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤٠٥هـ .

(٤) فتح القدير ج٤ ص٦٥٧ .

(٥) فتح القدير ج٥ ص٣٦٠ .

(٦) روح المعاني ج١٥ ص١٦٢ .

(٧) الزركشي : البرهان في علوم القرآن ج٣ ص٢٤٣ ، ط : دار المعرفة ـ بيروت ، ١٣٩١ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

وقال الإمام الجويني: الموت هو مفارقة الروح للجسد.(١)

والموت : انقطاع علاقة النفس عن البدن أعنى تصرفها وتدبيرها عن البدن.(٢)

وعليه يكون الموت على أقسام:-

---

(١) أبو العز الحنفي : شرح العقيدة الطحاوية ج١ ص٣٩٠ ط : المكتبة الإسلامي ــ بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩١ .

(٢) أبو حامد الغزالي معارج القدس في مدارج معرفة النفس ج١ ص١١٧ ط: دار الآفاق الجديدة ــ بيروت الطبعة الثانية ، ١٩٧٥م .

أقسام الموت

الأول: إذا حصل عن فساد فيما لم تعقبه حياة إلا في يوم إعادة الخلق وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.[1]

الثاني: إذا حصل عن حادث قاهر مانع لوظائف القلب من عملها كان للجسد حكم الموت في تلك الحالة لكنه يقبل الرجوع إن عادت إليه أسباب الحياة بزوال الموانع العارضة وقد صار الأطباء اليوم يعتبرون بعض الأحوال التي تعطل عمل القلب اعتبار الموت ويعالجون القلب بأعمال جراحية تعيد إليه حركته.

الثالث: الموت بالصاعقة إذا كان عن اختناق أو قوة ضغط الصوت على القلب قد تعقبه الحياة بوصول هواء صاف جديد وقد يطول زمن هذا الموت في العادة ساعات قليلة ولكن هذا الحادث كان خارق عادة فيمكن أن يكون موتهم قد طال يوما وليلة كما روى في بعض الأخبار ويمكن دون ذلك.[2]

الرابع: موت طبيعي: وهو نزع النفس من الجسم كرهاً لتشبثها به عشقاً له وسكوناً إليه فهي تنتزع مكرهة فلا جرم أنها لا تخرج إلا بالخطاطيف والكلاليب حتى تنقطع أوصالها وتزول علاقتها معه وهذه موتة طبيعية.

الخامس: موت إرادي: وهو ترك النفس لمساكنة الجسم والتنزه عن

---

(١) سورة الدخان ، الآية : ٥٦ .

(٢) التحرير والتنوير ج١ ص٢٩٠ .

عشقه والاستغراق في حبه واستعماله في مصالح الآخرة فهــذه موتــة إرادية لا يموت صاحبها بعدها أبداً لأن الخوف من الموت وألمه بقــدر المحبوبات ، وعذابه بقدر تعلق النفس بالشهوات وعكوفها على اللــذات وعشقها الغالب الذي تستعين به على إدراك المطلوبــات وتقضــي بــه أوطار الدنيويات فإذا زال موجب الألم سقط الألم ولم يكن له أثر وإذا لم يكن ألم لم يكن خوف وإذا لم يكن خوف كان أمن وإذا كان أمــن كــان استبشارا وبشرى وإذا كان استبشارا وبشــرى أحــب العبــد لقــاء الله عزوجل.[1]

ولصاحب التعريفات تقسيم خاص للموت حيث يقول:

"الموت صفة وجودية خلقت ضدا للحياة وباصطلاح أهل الحق قمع هوى النفس فمن مات عن هواه فقد حيي بهداه.

وهو أقسام:

الموت الأبيض: الجوع لأنه ينور الباطن ويبيض وجه القلــب فمــن ماتت بطنته حييت فطنته.

الموت الأحمر: مخالفة النفس.

المـوت الأخضـر: لبس المرقع من الخرق الملقاة التي لا قيمــة لهــا لاخضرار عيشه بالقناعة.

الموت الأسـود: احتمال أذى الخلق وهو الفناء في الله لشهود الأذى منــه برؤية فناء الأفعال في فعل محبوبه.[2]

---

(١) الرفاعي الحسيني : البرهان المؤيد ج١ ص١٩٢ ط : دار الكتاب النفيس ــ بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هــ .

(٢) الجرجاني التعريفات ج١ ص٣٠٥ ط: دار الكتاب العربي ــ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هــ تحقيق : إبراهيم الأبياري .

أجل الموت

يقول القرطبي:

- أجل الموت هو الوقت الذي في معلومه سبحانه أن روح الحي تفارق جسده ومتى قتل العبد علمنا أن ذلك أجله ولا يصح أن يقال لو لم يقتل لعاش والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ كِتَاباً مُؤَجَّلاً ﴾[1]

وأجل الموت هو وقت الموت كما أن أجل الدين هو وقت حلوله وكل شيء وقت به فهو أجل له.

وأجل الإنسان هو الوقت الذي يعلم الله أنه يموت فيه لا محالة .

يقول صاحب التعريفات:

الأجل: مشارفة انقضاء أمد الأمر حيث يكون منه ملجأ الذي هو مقلوبه كأنه مشارفة فراغ المدة.

وقيل: الأجل المدة المضروبة للشيء ووقته الذي يحل فيه.

ويقال للمدة المضروبة لحياة الإنسان ، ودنو الأجل عبارة عن دنو الموت.[2]

وجاء في أصول الدين: والأجل عبارة عن المدة وعن نهاية المدة إلا أنه في الثاني أكثر استعمالاً.[3]

---

(١) تفسير القرطبي ج٤ ص٢٢٢ والآية : ١٤٥ من سورة آل عمران .

(٢) التعريفات ج١ ص٣٧ .

(٣) أصول الدين لجمال الدين أحمد الغزنزي ج١ ص١٧٦ ط: دار البشائر الإسلامية ـ بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م ، تحقيق : عمر وفيق الداعوق .

أجل المقتول

ولست بصدد بيان وسرد الخلاف حول هذا العنوان بل، هي لمحة موجزة يقتضيها الحال، حتى يتيسر فهم الأمر للقارئ الغير متخصص من أهل الفن.

فإن الأئمة أجمعوا على أن المستقل بالإماتة والإحياء هو الله سبحانه قال تعالى: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾.[1]

فالمقتول عند أهل الحق ميت بأجله الذي قدره الله له وعلم أنه يموت فيه وموته بفعله تعالى ولا يتصور تغير هذا المقدر بتقديم ولا تأخير قال تعالى: ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾.[2]

" والقتل فعل قائم بالقاتل، والموت إزهاق الروح ، وهو مخلوق لله تعالى لا صنع للقاتل في المحل ".[3]

وقال القرطبي : المقتول ميت بأجله . ﴿ وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[4] فدل بهذا على أن المقتول إنما يقتل بأجله وأجل الموت هو وقت الموت كما أن أجل الدين هو وقت حلوله وكل شيء وقت به شيء فهو أجل له وأجل الإنسان هو الوقت الذي يعلم الله أنه يموت الحي فيه لا محالة وهو وقت لا يجوز تأخير موته عنه.[5]

---

(١) سورة الدخان ، الآية:٨ ، وينظر: المواقف للإيجي ج٣ ص٢٣٩ ط : دار الجيل — بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م تحقيق : د . عبد الرحمن عميرة .

(٢) سورة الحجر الآية:٥، أنظر: المواقف ج٣ ص٢٤٧ .

(٣) أصول الدين ج١ ص١٧٦

(٤) سورة الأعراف آية : ٣٤ .

(٥) تفسير القرطبي ج٧ ص١٨١

وللرد على من قال له أجلين يقول صاحب تمهيد الأوائل:

قيل له : بل يموت بأجله المقدور.

فإن قال : وما الحجة في ذلك؟

قيل له : قوله عز وجل :﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾.[1]

قال أبو محمد: وقد تحيرت المعتزلة ها هنا حتى قال بعضهم:

لو لم يقتل زيد لعاش.

وقال أبو الهذيل: لو لم يقتل لمات.

وشغف القائلون بأنه لو لم يقتل لعاش بقول الله عز وجل: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾.[2]

وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

[من سَرَّهُ أَنْ يُنْسَأَ له في أَثَرِهِ ، وَيُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ][3].

قال أبو محمد: وكل هذا لا حجة لهم فيه بل هو بظاهره حجة عليهم لأن النقص في اللغة التي بها نزل القرآن إنما هو من باب الإضافة وبالضرورة علمنا أن من عمر مائة عام وعمر آخر ثمانين سنة فإن الذي عمر ثمانين نقص من عدد عمر الآخر عشرين عاماً.

فهذا هو ظاهر الآية ومقتضاها على الحقيقة.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٤ ، أنظر: تمهيد الأوائل ج١ ص٣٧٤

(٢) سورة فاطر، الآية: ١١ .

(٣) الحديث أخرجه الحاكم في مستدرك كتاب البر والصلة ج٤ ص١٦٥ ط : دار الكتب العلمية ــ بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ ــ ١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

فالخلق كله مصرف تحت أمر الله عز وجل وعلمه فلا يقدر أحد على تعدي ما علم الله تعالى أنه يكون ولا يكون البتة إلا ما سبق في علمه أن يكون والقتل نوع من أنواع الموت ؛ لأن القتل علة لموت المقتول كما أن الحمى القاتلة والبطن القاتل وسائر الأمراض القاتلة علل للموت الحادث عنها ولا فرق، وأما قول رسول الله ﷺ : [من سَرَّهُ أَنْ يُنْسَأَ له في أَثَرِهِ، وَيُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ] فصحيح موافق للقرآن ولما توجبه المشاهدة وإنما معناه أن الله عز وجل لم يزل يعلم أن زيدا سيصل رحمه وأن ذلك سبب إلى أن يبلغ من العمر كذا وكذا، وكذا كل حي في الدنيا؛ لأن من علم الله تعالى أن سيعمره كذا وكذا من الدهر فإنه تعالى قد علم وقدر أنه سيتغذى بالطعام والشراب ويتنفس بالهواء ويسلم من الآفات القاتلة تلك المدة التي لا بد من استيفائها، والمسبب والسبب كل ذلك قد سبق في علم الله عز وجل كما هو لا يبدل قال تعالى ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [1].

ونص القرآن يشهد بصحة ما قلنا قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

---

(1) سورة ق آية : ٢٩ .

بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.[2]

وقال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَا لِهَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾[3]

وقال تعالى منكراً لقول قوم جرت المعتزلة في ميدانهم: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.[4]

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[5]

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾[6]

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٥٤ .
(٢) سورة الأحزاب، الآية : ١٦ .
(٣) سورة النساء، الآية : ٧٨ .
(٤) سورة آل عمران، الآية : ١٦٨ .
(٥) سورة آل عمران، الآية : ١٥٦ .
(٦) سورة آل عمران، الآية : ١٥٤ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري أبو محمد ط: مكتبة الخانجي ـ القاهرة ج٣ ص٤٩ .

البعث

جاء القرآن بعقيدة البعث بعد الموت واضحة شاملة للروح والجسد إعادة لا ظلم فيها ولا محاباة مقسطة ولا شفاعة هناك بالمعنى الفاسد ولا فداء عامة لا فضل لجنس ولا لطائفة ولا لشخص إلا بالتقوى اقرأ إن شئت قوله سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾.(١)

وقوله: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ* فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾.(٢)

وقوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ .(٣)

وقوله : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.(٤)

وقوله : ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾.(٥)

وقوله : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ﴾. (٦)

---

(١) سورة نوح الآيات: ١٧ـ١٨.
(٢) سورة القيامة، الآيات:٣٦ـ٤٠.
(٣) سورة الأنبياء، الآية:٤٧.
(٤) سورة الزلزلة، الآيات:٧ـ٨.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٨.
(٦) سورة المؤمنون، الآية:١٠١.

ولقد أشهد الله سبحانه عباده في هذه الدار إعادة حياة كاملة إلى بدن قد فارقته الروح فتكلم ومشى وأكل وشرب وتزوج وولد له كالذين ﴿خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ أو ﴿كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ وكقتيل بني إسرائيل أو كالذين قال لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأماتهم الله ثم بعثهم من بعد موتهم وكأصحاب الكهف وقصة إبراهيم في الطيور الأربعة فإذا أعاد الحياة التامة إلى هذه الأجساد بعد ما بردت بالموت فكيف يمتنع على قدرته الباهرة أن يعيد إليها بعد موتها حياة ما غير مستقرة يقضى بها ما أمره فيها ويستنطقها بها ويعذبها أو ينعمها بأعمالها وهل إنكار ذلك إلا مجرد تكذيب وعناد وجحود.

ومن أعجب الأدلة على البعث أن الله عز وجل قد أظهر على يدي أنبيائه ورسله عليهم السلام ما هو أعظم من البعث وهو قلب العصا حية حيوانا وأخرج ناقة من صخرة وأظهر حقيقة البعث على يدي عيسى صلوات الله وسلامه عليه.[1]

---

(١) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ج١ ص٩٨ ط : دار الكتاب العربي ـ بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م تحقيق : د / السيد الجميلي .

البَعْثُ في كلام العرب على وجهين:

أحدهما: الإرْسال كقوله تعالى ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾[1] معناه أرسلنا والبَعْثُ إثارةُ باركٍ أو قاعدٍ تقول بَعَثْتُ البعيــر فانبَعَثَ أي أثَرْتُه فثار .

ثانيهمــا:البَعْثُ أيضاً الإحْياء من الله للمَوْتى ومنه قوله تعالى ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [2]أي أحييناكم وبَعَثَ المَوْتى نَشَرَهم ليــوم البَعْــثِ وبَعَثَ اللهُ الخَلْقَ يَبْعَثُهُم بَعْثاً نَشَرَهم من ذلك وفتح العين في البعث كلــه لغة ومن أسمائه عز وجل الباعِثُ هو الذي يَبْعَثُ الخَلْقَ أي يُحْييهم بعد الموت يوم القيامة.[3]

وأصل البعث إثارة الشيء من محله ومنه قيل : بعث فلان راحلتــه إذا أثارها من مبركها للسير.

ومن ذلك قيل : بعثت فلانا لحاجتي إذا أقمته من مكانه الذي هو فيه للتوجه فيها.

ومن ذلك قيل ليوم القيامة : يوم البعث لأنه يوم يثار النـــاس فيـــه مـــن قبورهم لموقف الحساب.[4]

والبعث أصل الحشر وهو الجمع وضم المفرق.[5]

وأصل البعث إرسال المبعوث من المكان الذي هو فيه لكن يختلــف

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٠٣ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٦ .

(٣) لسان العرب، ج٢، ص ١١٦، تاج العروس ، ج١، ص ١٢١٤.

(٤) تفسير الطبري ج١ ص٣٣٠ ، تفسير القرطبي ج١ ص٤٤٤ ، تفسير البغــوي ج١ ص٩٧٠.

(٥) روح المعاني، ج٢، ص ٩٤، تفسير أبي السعود، ج١، ص ٢١٠.

باختلاف متعلقه .

يقال : بعث البعير من مبركه إذا أثاره.

وبعثته في السير إذا هيجته ، وبعث الله تعالى الميت إذا أحياه ، وضرب البعث على الجند إذا أمروا بالارتحال.(١)

قال صاحب الكشاف: " البعث: هو إعادة ما يفنيه ويعدمه"(٢)

الباعث: هو الذي يحيي الخلق يوم النشور ويبعث من في القبور ويحصل ما في الصدور والبعث هو النشأة الآخرة.(٣)

ولقد حج الله تعالى عباده في القرآن الكريم بآيات بينات تُثَبِتُ عقيدة البعث بعد الموت ــ لدى من تزعزعت عنده ــ بقياس الغائب على الشاهد ونختار منها بعض الآيات:-

ففي سورة الأعراف قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧) ﴾

وفي سورة الحج قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا

---

(١) روح المعاني ج٢ ص١٦٤

(٢) الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ج١ ص٨١٣ ، ط : دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي .

(٣) الغزالي : المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله حسنى ج١ ص١٢٣ ، ط: دار الجفان والجابي ــ قبرص ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي .

عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ (٧) ﴾

وفي سورة الروم قال تعالى: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩) ﴾

وفيها أيضا قوله تعالى: ﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠) ﴾

وفي سورة فاطر قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (٩) ﴾

وفي سورة فصلت قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) ﴾

وفي سورة الزخرف قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) ﴾

وفي سورة الأحقاف قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) ﴾

وفي سورة ق قوله تعالى: ﴿ رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١) ﴾

حتى ينتهي الذي في قلبه زيغ ، ويثبت لديه عن يقين عقيدة البعث ويقف يقول بملء فيه: أؤمن بأن الله تعالى يحيينا بعد الموت ويعيدنا بأرواحنا وأجسادنا من قبورنا ومن حيث كنا إلى الموقف الأعظم

للمحاسبة على الأعمال والجزاء عليها إذ ذاك جائز في قدرته وواجب في عدله وحكمته لقوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤) ﴾

وقال تعالى في سورة الجاثية: ﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢٦) ﴾

وقال تعالى في سورة القصص: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٨٥) ﴾

وقال تعالى في سورة المؤمنـــون: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦) ﴾

وقال تعالى في سورة طه: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٥٥) ﴾

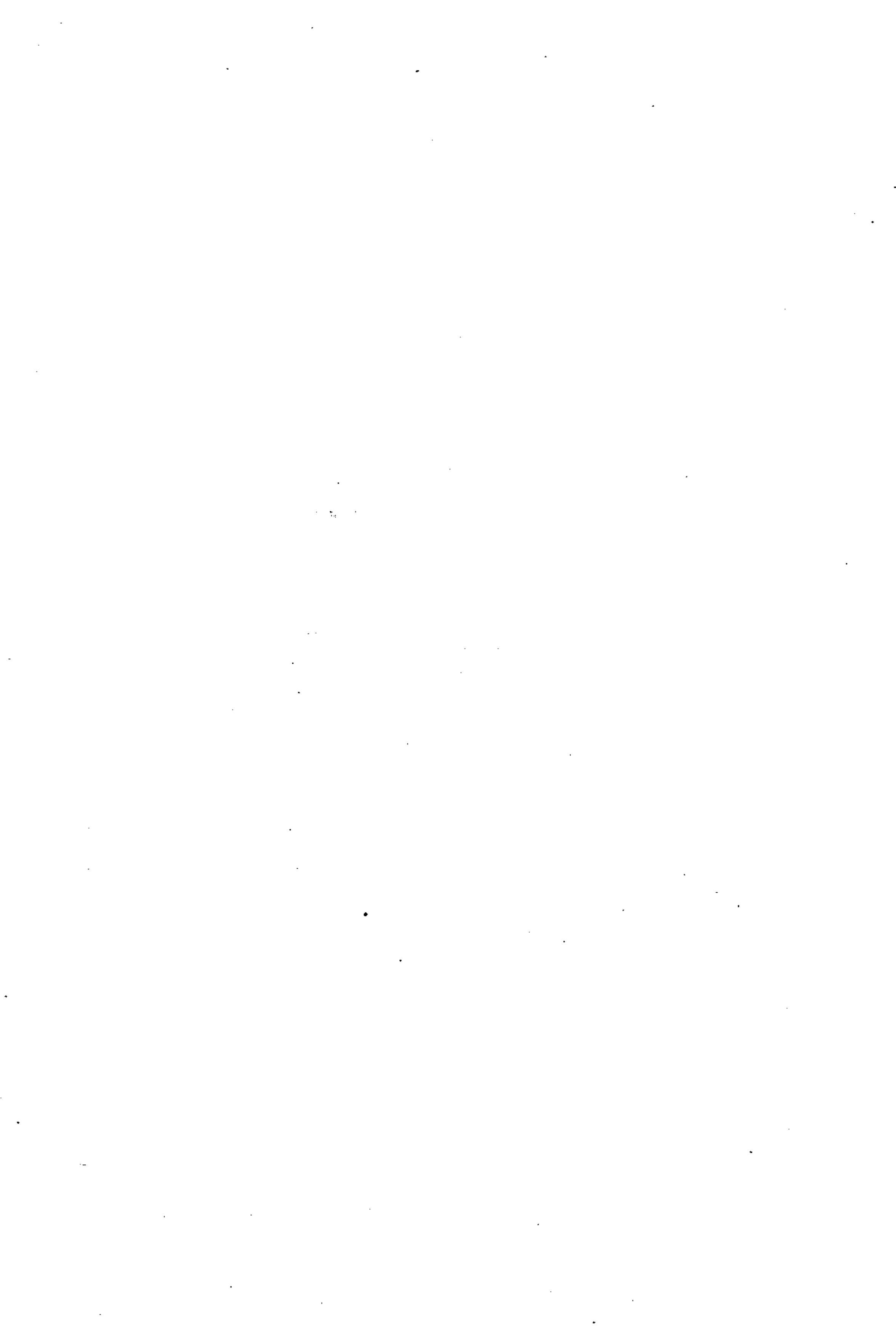
ويقول تعالى في سورة القمر: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨) ﴾



المبحث الثالث

من أحياهم الله تعالى

من خلال سورة البقرة



النص الأول

قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.[1]

مورد الآية: تذكير لهم بالنعم التي أنعم عليهم إذ خلقهم ولم يكونوا شيئاً وخلق لهم ما في الأرض جميعاً وأيضاً سوى لهم ما في السماء، لذا كان التحدي لعنادهم حين كذبوا بما جاء به النبي ﷺ أن يأتوا بمثله.

يقول الطبري: خاطبهم بهذه الآيات والتي بعدها موبخهم مقبحاً إليهم سوء فعالهم ومقامهم على ضلالهم مع النعم التي أنعمها عليهم وعلى أسلافهم ، فأخبر جل ثناؤه أن مرجعهم إليه بعد نشرهم وإحيائهم من مماتهم وذلك لا شك يوم القيامة.[2]

يقول ابن كثير: إن الله تعالى قالها محتجاً على وجوده وقدرته وأنه الخالق المتصرف في عباده ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ أي كيف تجحدون وجوده أو تعبدون معه غيره ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ﴾ أي وقد كنتم عدما فأخرجكم إلى الوجود.

أي: كيف تجحدون ربكم ودلالته عليكم ظاهرة جلية كل أحد يعلمها من نفسه فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدوماً ثم وجد وليس وجوده من نفسه ولا مستنداً إلى شيء من المخلوقات لأنه بمثابته فعلم إسناد إيجاده إلى خالقه وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء..[3]

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨ .
(٢) تفسير الطبري ج١ ص٢٣٢ .
(٣) تفسير ابن كثير ج١ ص١٠١ .

وجاء السؤال بكيف للتعجب، وعليه فالمعنى أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان.(1)

المعنى العام للآية:

قال مجاهد : لم تكونوا شيئاً حين خلقكم ، ثم يميتكم الموتة الحق ، ثم يحييكم .

قوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ﴾ قال قتادة : كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم فأحياهم الله وخلقهم ، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهما حياتان وموتتان.

وأما وجه تأويل قول قتادة ذلك: أنهم كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم أي أنهم كانوا نطفا لا أرواح فيها فكانت بمعنى سائر الأشياء الموات التي لا أرواح فيها وإحياؤه إياها تعالى ذكره نفخه الأرواح فيها وإماتته إياهم بعد ذلك قبضه أرواحهم وإحياؤه إياهم بعد ذلك نفخ الأرواح في أجسامهم يوم ينفخ في الصور ويبعث الخلق لليوم الموعود.

عن ابن عباس رضي الله عنهما : معنى قوله: ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً ﴾ أموات الذكر خمولاً في أصلاب آبائكم نطفاً لا تعرفون ولا تذكرون فأحياكم بإنشائكم بشراً سوياً حتى ذكرتم وعرفتم وحييتم ثم يميتكم بقبض أرواحكم وإعادتكم رفاتاً لا تعرفون ولا تذكرون في البرزخ إلى يوم تبعثون ثم يحييكم بعد ذلك بنفخ الأرواح فيكم لبعث الساعة وصيحة القيامة قال: ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ لأن الله يحييهم في قبورهم قبل حشرهم ثم يحشرهم لموقف الحساب قال تعالى:﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ

---

(1) عمدة القاري ج1 ص15

إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾[١]

وقال: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾.[٢]

عن ابن مسعود ﷺ وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[٣]

يقول : لم تكونوا شيئا فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة.

يقول مجاهد في قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾

أي : لم تكونوا شيئا حين خلقكم ثم يميتكم الموتة الحق ثم يحييكم.

ثم ينقل الطبري حدثني أبو العالية في قول الله عز وجل : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً ﴾

يقول : حين لم يكونوا شيئا ثم أحياهم حين خلقهم ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة ثم رجعوا إليه بعد الحياة. [٤]

الدلالات العقائدية في الآية:

أ-الإيمان فطري: قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً ﴾.

فهذا استدلال قاطع على أن الإيمان بالله تعالى أمر مستقر في الفطر والعقول وأنه لا عذر لأحد في الكفر به البتة فذكر تعالى أربعة أمور

---

(١) سورة المعارج ، الآية: ٤٣ .

(٢) تفسير الطبري ج١ ص٢٢٢ والآية: ٥١، من سورة يس . تفسير ابن كثير ج١ ص١٠١ ، الدر المنثور ج١ ص١٠٥ ط : دار الفكر ــ بيروت ، ١٩٩٣م ، تفسير القرطبي ج١ ص٢٨٩ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٨ .

(٤) تفسير الطبري ج١ ص٢٢٢ .

ثلاثة منها مشهودة في هذا العالم والرابع منتظر موعود به وعد الحق.

الأول: كونهم كانوا أمواتاً لا أرواح فيهم بل نطفاً وعلقاً ومضغة مواتاً لا حياة فيها.

الثاني: أنه تعالى أحياهم بعد هذه الإماتة.

الثالث: أنه تعالى يميتهم بعد هذه الحياة.

الرابع: أنه يحييهم بعد هذه الإماتة فيرجعون إليه.

فما بال العاقل يشهد الأطوار الثلاثة الأول ويكذب بالرابع؟

وهل الرابع إلا طور من أطوار التخليق؟

فالذي أحياكم بعد أن كنتم مواتا ثم أماتكم بعد أن أحياكم ما الذي يعجزه عن إحيائكم بعدما يميتكم؟

وهل إنكاركم ذلك إلا كفر مجرد بالله تعالى؟

فكيف يقع منكم بعد ما شاهدتموه؟

فقد ضمنت هذه الآية الاستدلال على وجود الخالق وصفاته وأفعاله على المعاد.[1]

ب ـ علم الإنسان بجريان الموت والحياة عليه أكثر من مرة:

حيث جاء السياق في قوله تعالى:﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً ﴾ الآية. بأسلوب التوبيخ والتعجب جميعا أي: كيف تكفرون والحال أنكم عالمون بهذه القصة أما التوبيخ فلأن الكفر مع هذه الحال ينبىء عن الانهماك في الغفلة أو الجهل وأما التعجب فلأن هذه الحال تأبى أن لا

(١) ابن القيم : بدائع الفوائد ج٤ ص٩٤٧ ط : مكتبة نزار مصطفى الباز ــ مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م . تحقيق : هشام عبد العزيز عطا ــ عادل عبد الحميد العدوي .

يكون للعاقل علم بالصانع وعلمه به يأبى أن يكفر وصدور الفعل مع الصارف القوي مظنة تعجب.(١)

أي كما تشاهدون ذلك في ميلاد أطفالكم التي يتم بعد خلقهم من العدم في بطون أمهاتهم فتعلمون علم اليقين أنه تعالى كذلك أخرجكم من العدم إلى الوجود، لذا وجب عليكم الاعتقاد الكامل في أنكم مبعوثون ليوم معلوم ، وأن ذلك على الله تعالى هين يسير لأنه كما أوجدكم من العدم فهو قادر على الإعادة مرة أخرى ، حتى لا يكون الخلق عبثاً، فلابد من يوم الحساب.

ج.إثبات عقيدة البعث بقياس الغائب على الشاهد:

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ﴾ أي: كنتم ترابا قبل أن يخلقكم فهذه ميتة ، ثم أحياكم فخلقكم فهذه حياة ، ثم يميتكم فترجعون إلى القبور فهذه ميتة أخرى ، ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة فهما موتتان وحياتان.(٢)

ولذلك أتبع الله البرهان بالتخويف بالموت الضروري والمعاد إليه النظري في قوله تعالى ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ فان الكفر مع مجموع هذه الأمور أنكر الكفر وأفحشه فإن البراهين تكفي العارفين والمخاوف توقظ نيام الغافلين وتلين قساوة العاتين الماردين ومع ذلك تقوى دواعي العارفين وتقاوم

---

(١) الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ج١ ص١٤١ ط : دار إحياء العلوم ـ بيروت الطبعة الرابعة ، ١٩٩٨م .

(٢) فتح القدير ج٤ ص٦٩٢ .

وساوس الشياطين[1]

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

أي: غذاكم في ظلمات الأحشاء كما يغذي الثمر في الأغصان ، ثم أخرجكم من الظلمات إلى ضوء الفضاء وسعة الأوطان ، ثم وعدكم أن ينقلكم من عتمة شقوة الدنيا إلى روح نعيم الجنان.

فكم أنتم بلقائه لا توقنون ـ تنكرون حقيقة البعث ـ ولنعمته لا تشكرون، أي كونه أراكم في أنفسكم الدليل من طريقة خلقكم وهو المراد من قوله: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

أي كنتم أمواتاً في أصلاب الآباء وفي طور النطفة في بطون الأمهات قبل نفخ الروح ، ثم أحياكم بنفخ الروح بعد اكتمال طور المضغة ، ثم يميتكم بعد ما شاء لكم من الحياة في هذه الحياة الدنيا ، ثم يحيكم من هذا الممات لجزاء يوم الميقات ، ولانقطاع الحجة فهو يريكم آياته في أنفسكم في خلقكم ووجودكم.

فأي آيات الله تنكرون؟

لذا قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

فإن خلق الحياة ولوازمها وملزوماتها من العدم أعظم وأدل على

---

(١) ابن الوزير : إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد ج١ ص٢٣ ط: دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م .

القدرة على الإعادة للمعدوم ثانية. [1]

وجاء في تفسير ابن كثير: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

أي: لم تكونوا شيئاً حتى خلقكم ، ثم يميتكم موتة الحق ، ثم يحييكم حين يبعثكم ، وأنه كما تشاهدون ذلك ـ في مراحل التكوين الأولى ـ يخرجكم من العدم إلى الوجود.

أي : الذي قدر على البداءة قادر على الإعادة بطريق الأولى والأحرى. [2]

لذا سمى الحال الأول ـ قبل طور النطفة ـ وهو العدم موتاً وسمى هذه النشأة حياة ولهذا قال تعالى :

﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾. [3]

---

(١) ابن تيمية : دقائق التفسير ج٣ ص١٦٢ ط: مؤسسة علوم القرآن دمشق الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ تحقيق : د . محمد السيد الجليند .

(٢) تفسير ابن كثير ج٤ ص١٩٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ج٤ ص٥٠٨ .

النص الثاني

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١)

مورد الآيات: إنه سبحانه دل على إمكان إحياء الموتى وقدرته على ذلك بطريق الوجود والعيان وهو أعظم الأدلة فلا شيء أدل على إمكان الشيء من وجوده ففي ذكر ما أحياه من الموتى قصة موت بني إسرائيل الذين سألوه الرؤية. (٢)

قال النحاس: وهذا احتجاج على من لم يؤمن بالبعث من قريش واحتج على أهل الكتاب إذ خبروا بهذا والمعنى ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ما فعل بكم من البعث بعد الموت. (٣)

سبب قولهم: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾

قال السدي: لما تابت بنو إسرائيل من عبادة العجل وتاب الله عليهم بقتل بعضهم بعضا كما أمرهم به أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى من قومه سبعين رجلا على عينه ثم ذهب بهم ليعتذروا فلما أتوا ذلك المكان قالوا : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾

فإنك قد كلمته فأرناه ! فأخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول : رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت

---

(١) سورة البقرة الآية : ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) ابن تيمية : درء التعارض ج٤ ص٦٠ ط: دار الكنوز الأدبية ـ الرياض ، ١٣٩١هـ تحقيق : محمد رشاد سالم .

(٣) تفسير القرطبي ج١ ص٤٤٤ .

خيارهم ؟ ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا﴾ ؟ فأوحى الله إلى موسى عليه السلام إن هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل فذلك حين يقول موسى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ(١٥٥) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَـا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) ﴾ يقول تبنا إليك ثم إن الله جل ثناؤه أحياهم فقاموا وعاشوا رجلا رجلا ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون.[1]

كيفية موتهم:

قال قتادة في قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ أي: ماتوا وذهبت أرواحهم ومعنى الصاعقة ما يصعقون منه أي يموتون ومن الدليل على أنهم ماتوا قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم ﴾ [2]

﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ عيانا جهارا وأنتم تنظرون إليها صعق بعضهم وبعضهم ينظرون ثم بعث هؤلاء وصعق هؤلاء.[3]

ومن الملاحظ أن قوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ يكون على معنين:-

أولا: ينظر بعضكم إلى بعض كيف يقع ميتا.

وثانيا: ينظر بعضكم إلى إحياء بعض.

---

(١) تفسير الطبري ج١ ص٣٣٠ .

(٢) ابن الجوزي : زاد المسير ج١ ص٨٣ ط: المكتب الإسلامي ـ بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ .

(٣) تفسير ابن كثير ج١ ص١٣٥

وقد عوقب القوم على سؤالهم الرؤيا وتعليق الإيمان على تحققها فأماتهم الله عقوبة لهم. [1]

كيفية بعثهم أحياء بعد الموت:

إن الله أحياهم فقاموا وعاشوا رجلا رجلا ينظر بعضهم إلى بعض. كيف يحيون ؟ قال : فذلك قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.[2]

يعني بقوله : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم ﴾ ثم أحييناكم ﴿ مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ من بعد موتكم بالصاعقة التي أهلكتكم. وقوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

يقول الله تعالى لهم: فعلنا بكم ذلك لتشكروني على ما أوليتكم من نعمتي عليكم بإحيائي إياكم استبقاء مني لكم لتراجعوا التوبة من عظيم ذنبكم بعد إحلالي العقوبة بكم بالصاعقة التي أحللتها بكم فإماتتكم بعظيم خطئكم الذي كان منكم فيما بينكم وبين ربكم وهذا القول على تأويل من تأول قوله : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم ﴾ ثم أحييناكم[3]

قال قتادة: عوقب القوم فأماتهم ثم بعثهم إلى بقية آجالهم ليتوفوها.[4]

﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ نعمة البعث بعد الموت أو نعمة الله بعدما كفرتموها إذا رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة وإذاقتكم الموت.[5]

---

(١) الدر المنثور ج١ ص١٧٠ .
(٢) تفسير ابن كثير ج١ ص١٣٥ .
(٣) تفسير القرطبي ج١ ص٤٤٤ .
(٤) الدر المنثور ج١ ص١٧٠ .
(٥) الكشاف ج١ ص٧٠ .

بعثهم ودلالته العقائدية:

أ ـ الوصول لليقين بالمشاهدة: حيث جعل تبارك وتعالى ذلك الصنيع حجة لهم على المعاد وفاصلاً ما كان بينهم من الخصومة والعناد في تصديق الرسول.(١)

ب ـ مشاهدتهم للبعث: يقول عروة بن رويم اللخمي في قوله عز وجل : ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ أخذت بعضهم ، وبعضهم قيام ينظرون فردت إليهم أرواحهم ثم أخذت النصف الباقي وهؤلاء قيام ينظرون ثم تلا هذه الآية : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.(٢)

وكذلك أيضا لأنه من الخوارق الخارجة عن قوى النفوس إحياء الموتى من الآدميين.

ج ـ تقرير الله تعالى لمعاد الأبدان: فقد قرر سبحانه معاد الأبدان بإخباره بوقوع إحياء موتى بني إسرائيل كما أخبر بذلك في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. (٣)

قلت : وبهذا التقرير الذي تبعته مشاهدة العيان ـ البعض ممن كان مع موسى عليه السلام عندما رأى مبعث الآخرين ـ كما جاء في الأخبار الصحيحة تبطل دعوى من قال بعدم حشر الأجساد.

ويشهد لهذا: ما روي عن رزين العقيلي ﷺ أنه قال : **قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ، وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ ؟ قَالَ : " أَمَا مَرَرْتَ**

---

(١) تفسير ابن كثير ج١ ص١٥٩ .

(٢) ابن أبي الدنيا : العقوبات ج١ ص١٩٣ .

(٣) ابن تيمية : الصفدية ج٢ ص٢٢٦ ط : الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ تحقيق د/ محمد رشاد سالم .

بِوَادِي أَهْلِكَ مَحْلًا ؟ " قَالَ : بلَى ، قَالَ : " أَمَا مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِرًا ؟ " قَالَ : بلَى ، قَالَ : " فَكَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَذَلِكَ آيَتُهُ فِي خَلْقِهِ "
قال الألباني: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.(١)

(١) أبو عبد الله الحاكم النيسابوري المستدرك ج٤ ص٦٠٥ ط : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .

النص الثالث

﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.[1]

مورد القصة:

قال أبو جعفر: يعني جل ذكره بقوله : ﴿ فَقُلْنَا ﴾ فقلنا لقوم موسى الذين إداروًا في القتيل: اضربوا القتيل و الهاء التي في قوله: ﴿ اضْرِبُوهُ﴾ من ذكر القتيل ؟ ﴿ بِبَعْضِهَا ﴾ أي : ببعض البقرة التي أمرهم الله بذبحها فذبحوها.

ثم يقول الطبري : والصواب من القول عندنا في تأويل قوله : ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ أن يقال : أمرهم الله جل ثناؤه أن يضربوا القتيل ببعض البقرة ليحيا المضروب وقد تقرر بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه الله ، ليحيا فينبىء نبي الله موسى عليه السلام والذين اداروًا فيه من قاتله.[2]

يقول القرطبي في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾

أي : كما أحيا هذا بعد موته كذلك يحيي الله كل من مات فالكاف في موضع نصب لأنه نعت لمصدر محذوف.[3]

الدلالة العقائدية على البعث:

قال أبو جعفر: وقوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾

مخاطبة من الله عباده المؤمنين واحتجاج منه على المشركين

---

(١) سورة البقرة، الآية : ٧٣ .

(٢) تفسير الطبري ج١ ص٤٠٢ .

(٣) تفسير القرطبي ج١ ص٤٩٣ .

المكذبين بالبعث وأمرهم بالاعتبار بما كان منه جل ثناؤه من إحياء قتيل بني إسرائيل بعد مماته في الدنيا فقال لهم تعالى ذكره : أيها المكذبون بالبعث بعد الممات اعتبروا بإحيائي هذا القتيل بعد مماته فإني كما أحييته في الدنيا فكذلك أحيي الموتى بعد مماتهم فأبعثهم يوم البعث.

وإنما احتج جل ذكره بذلك على مشركي العرب وهم قوم أميون لا كتاب لهم لأن الذين كانوا يعلمون علم ذلك من بني إسرائيل كانوا بين أظهرهم وفيهم نزلت هذه الآيات فأخبرهم جل ذكره بذلك ليتعرفوا علم من قبلهم.[1]

فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك كذلك يحيي الله الموتى وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحس أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث.[2]

وروي : أنهم لما ضربوه قام بإذن الله وأوداجه تشخب دما وقال : قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك .[3]

لكي توقن عقولكم بعد العلم الذي وصل إلى يقين المشاهدة ـ بسؤالكم بنى إسرائيل ، أو بسماعكم من نبي لم تعهدوا عليه الكذب، على أن الخطاب لمشركي قريش ـ أو أن الله تعالى الذي أراكم بأعينكم ـ على أن الخطاب لبنى إسرائيل المكذبين للرسول ـ قدرته على إحياء هذا القتيل قادر على إحياء الأنفس جميعا.

قوله تعالى : ﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ ﴾

---

(١) تفسير الطبري ج١ ص٤٠٢ .
(٢) تفسير ابن كثير ج٤ ص٢٨٤ .
(٣) الكشاف ج١ ص٧٦ .

قال أبو جعفر: يعني جل ذكره : ويريكم الله أيها الكافرون المكذبون بمحمد ﷺ وبما جاء به من عند الله من آياته وآياته : أعلامه وحججه الدالة على نبوته لتعقلوا وتفهموا أنه محق صادق فتؤمنوا به وتتبعوه.(١)

﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ تعملون على قضية عقولكم .

أن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء الأنفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث.(٢)

﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ كي تعقلوا أي تمتنعون من عصيانه وعقلت نفسي عن كذا أي منعتها منه والمعاقل : الحصون.(٣)

قال الواحدي:أي: آيات قدرته في خلق الحياة في الأموات.(٤)

وملخص القول:

أي: كما شاهدتم إحياء هذا القتيل عن أمر الله له كذلك أمره في سائر الموتى إذا شاء إحياءهم أحياهم في ساعة واحدة كما قال تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (٥)

---

(١) تفسير الطبري ج١ ص٤٠٢ .
(٢) الكشاف ج١ ص٧٦ .
(٣) تفسير القرطبي ج١ ص٤٩٣ .
(٤) الوجيز للواحدي ج١ ص١١٢ .
(٥) سورة لقمان ، الآية : ٢٨. أنظر: قصص الأنبياء ، ج١ص٣٧٠ .

النص الرابع

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ (٢٤٣) ﴾

ذكر القصة:

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ ألم تعلم يا محمد ؟ وهو من رؤية القلب لا رؤية العين لأن نبينا محمدا ﷺ لم يدرك الذين أخبر الله عنهم هذا الخبر ورؤية القلب ما رآه علمه به فمعنى ذلك: ألم تعلم يا محمد الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف. (١)

ألم تر الاستفهام هنا للتقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأرباب الأخبار وتعجب من شأنهم البديع فإن سماعهم لها بمنزلة الرؤية النظرية أو العلمية أو لكل أحد من له حظ من الخطاب إيذانا بان قصتهم من الشهرة والشيوع بحيث يحق لكل أحد أن يحمل على الإقرار برؤيتهم وسماع قصتهم ويعجب بها وإن لم يكن رآهم أو سمع بقصتهم فإن هذا الكلام قد جرى مجرى المثل في مقام التعجب. (٢)

قال قتادة: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ ﴾ الآية .

مقتهم الله على فرارهم من الموت فأماتهم الله عقوبة ثم بعثهم إلى بقية آجالهم ليستوفوها. (٣)

﴿ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾

قالوا: كانت قرية يقال لها داوردان قبل واسط وقع بها الطاعون

---

(١) تفسير الطبري ج٢ ص٦٠٠ .
(٢) تفسير أبي السعود ج١ ص٢٣٧ .
(٣) تفسير الطبري ج٢ ص٦٠٠ .

فهرب عامة أهلها ونزلوا وادياً أفيح فناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه أن موتوا فماتوا حتى إذا هلكوا وبقيت أجسادهم مر بهم نبي يقال له حزقيل فبعثهم الله على يديه وقالوا حين أحيوا سبحانك اللهم وبحمدك لا اله إلا أنت فرجعوا إلى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا إلا عاد رسما حتى ماتوا لآجالهم.(١)

موتهم:

هربوا من الموت بفرارهم من أوطانهم وانتقالهم من منازلهم إلى الموضع الذي أملوا بالمصير إليه السلامة وبالموئل النجاة من المنية ونزلوا وادي أفيح فملأوا ما بين عدوتيه حتى أتاهم أمر الله فأرسل الله إليهم ملكين أحدهما من أسفل الوادي والآخر من أعلاه فصاحا بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم موتة رجل واحد فتركهم جميعا خمودا صرعى وفي الأرض هلكى فحيزوا إلى حظائر وبني عليهم جدران حتى صاروا هلكى وفنوا وتمزقوا وتفرقوا رفاتا وعظاما وصلوا إلى ما ينتهي إليه أمر المتوفى بعد أن تمر عليه السنون. (٢)

بعثهم:

﴿ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ لقد كانت الحكمة من بعثهم على ضربين:-

الأول: تيقن الناس أن الله تعالى قادر على بعث من رم وبلي.

الثاني: لاستيفاء آجالهم الباقية لهم في هذه الحياة الدنيا.

كيفية بعثهم:

مر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له (حزقيل) فلما رآهم

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج٢ ص٣ ط: دار إحياء التراث العربي .

(٢) التوحيد ج٢ ص٨٨٠ بتصرف كبير.

وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم ويلوى شدقيه وأصابعه فأوحى الله إليه تريد أن أريك كيف أحييهم قال نعم ـ وإنما كان تفكره أنه تعجب من قدرة الله عليهم ـ فأجابه إلى ذلك وأمره أن يقول:

أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمعت عظام كل جسد بعضها إلى بعض ثم أمره فنادى:

أيتها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي لحما وعصبا وجلدا فاكتست لحما ودما وثيابها التي ماتت فيها كان ذلك وهو يشاهد ثم أمره فنادى:

أيتها الأرواح إن الله يأمرك أن ترجع كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره فقاموا أحياء ينظرون قد أحياهم الله بعد رقدتهم الطويلة وهم يقولون : سبحانك لا إله إلا أنت. [1]

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾

التنكير في قوله فضل للتعظيم : أي لذو فضل عظيم على الناس جميعا فيما يريهم من الآيات الباهرة والحجج القاطعة والدلالات الدامغة

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾ أي لا يقومون بشكر ما أنعم الله به عليهم في دينهم ودنياهم أما هؤلاء الذين خرجوا فلكونه أحياهم ليعتبروا وأما المخاطبون فلكونه قد أرشدهم إلى الاعتبار والاستبصار بقصة هؤلاء. [2]

الدلالة العقدية في النص:

أولا: التحصن في الحصون والاختباء في المنازل والدور غير منج أحدا من قضائه إذا حل بساحته ولا دافع عنه أسباب منيته إذا نزل

---

(١) الصابونى مختصر ابن كثير ج١ ص١٧٠ ط: مكتبة الكليات الأزهرية .

(٢) فتح القدير ج١ ص٣٩٥ .

بعقوته [1]كما لم ينفع الهاربين من الطاعون.[2]

ثانيا: من الله تعالى على بنى البشر جميعا على اختلافهم بإعلامه إياهم وتذكيره لهم أن الإماتة والإحياء بيديه.

ثالثا: مقتهم الله على فرارهم من الموت فأماتهم عقوبة لهم

رابعا: كان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة .

خامسا: في هذه القصة عبرة ودليل على أنه لن يغني حذر من قدر وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه فإن هؤلاء خرجوا فرارا من الوباء طلبا لطول الحياة فعوملوا بنقيض قصدهم وجاءهم الموت سريعا في آن واحد.[3]

سادسا: أن هذا الأمر أمر تكوين أماتهم الله بقوله موتوا لأن سياق الآية دال على أنهم ماتوا والإحياء إنما كان بعد الإماتة لأن قوله عزوجل ثم أحياهم دال على أنهم قد كانوا ماتوا فأحياهم الله بعد الموت فهذه الجماعة قد أحياهم الله مرتين قبل البعث وسيبعثهم الله يوم القيامة أحياء فالكتاب دال على أن الله يحيى هذه الجماعة مع ما تقدم من إحياء الله إياهم ثلاث مرات.[4]

سابعا: أشهد الله سبحانه عباده في هذه الدار ـ الحياة الدنيا ـ إعادة الحياة كاملة إلى أبدان قد فارقتها الأرواح فتكلمت ومشت وأكلت .

---

(١)عقوة الدار : ساحتها وما حولها قريبا منها . يقال : نزل بعقوته ، ونزلت الخيل بعقوة العدو .

(٢) تفسير الطبري ج٢ ص٦٠٠ .

(٣) مختصر ابن كثير ج١ ص١٧٠ .

(٤) التوحيد ج٢ ص٨٨٠ .

وشربت وتزوجت وولدت لها الذرية والحفدة وهو عين اليقين بالمشاهدة المتمثلة في الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم.

ثامنا: استثناء هؤلاء القوم من قوله تعالى:﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾.[1]

وقد ذهب إلى هذا ابن حزم في كتابه الفصل:

" فلا يشذ عن هذا أحد إلا من أبانه الله تعالى بمعجزة ظهرت فيه كمن أحياه الله عز وجل آية لنبي كالمسيح ﷺ وكالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم فهؤلاء والذي آماته الله مائة عام ثم أحياه كلهم ماتوا ثلاث موتات وحيوا ثلاث مرات وأما من ظن أن الصعقة التي تكون يوم القيامة موت فقد أخطأ بعض القرآن الذي ذكرنا لأنها كانت تكون حينئذ لكل أحد ثلاث موتات وثلاث إحياءات وهذا كذب وباطل ".[2]

ويقول ابن القيم في هذا أيضا:

" إلا من أحياه الله تعالى آية لنبي من الأنبياء كالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ومن خصه نص".[3]

---

(١) سورة غافر، الآية : ١١ .

(٢) الفصل في الملل ج٣ ص٧٥ .

(٣) الروح ج١ ص٤٢ .

النص الخامس

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٢٥٩) ﴾

سبب ذكر القصة:

يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ﴾ نظير الذي عنى بقوله:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ من تعجب محمد ﷺ منه. (١)

وقد زعمه بعض نحوي البصرة أن المعنى : ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم أو الذي مر علي قرية.(٢)

صاحب القصة:

قال الطبري: حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن قال حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب : ﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها﴾ قال : عزير.(٣)

وقال ابن كثير: هو عزير، حدثنا ابن حميد قال حدثنا يحيى بن واضح قال حدثنا أبو خزيمة قال سمعت سليمان بن بريدة في قوله : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ قال : هو عزير.(٤)

---

(١) تفسير الطبري ج٣ ص٢٩ .

(٢) تفسير الطبري ج٣ ص٢٩ .

(٣) تفسير الطبري ج٣ ص٢٩ .

(٤) تفسير ابن كثير ج١ ص٤٢١ .

عن السدي قال: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾

وذلك أن عزيراً مر جائيا من الشام على حمار له معه عصير وعنب وتين فلما مر بالقرية فرآها وقف عليها وقطب يده وقال:

كيف يحيي هذه الله بعد موتها ؟ - ليس تكذيبا منه وشكا - فأماته الله وأمات حماره فهلكا ومر عليهما مائة سنة ثم إن الله أحيا عزيرا. فقال له: كم لبثت ؟ قال : لبثت يوماً أو بعض يوم !

قيل له : بل لبثت مئة عام ! فانظر إلى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ الآية.[1]

وقيل : إنه أوريما: نقله أيضا الطبري:

حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال حدثنا عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول في قوله : ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ ﴾ أن أورميا لما خرب بيت المقدس وحرقت الكتب وقف في ناحية الجبل فقال :﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني ابن إسحاق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال : هو أورميا.[2]

وأنهى الطبري الخلاف قائلا:

ولا بيان عندنا من الوجه الذي يصح من قبله البيان على اسم قائل ذلك وجائز أن يكون ذلك عزيرا وجائز أن يكون أورميا ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك

---

(١) تفسير الطبري ج٣ ص٢٩ .

(٢) تفسير الطبري ج٣ ص٢٩ .

وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقه بعد مماتهم وإعادتهم بعد فنائهم وأنه الذي بيده الحياة والموت.[1]

أصح الآراء في القرية:

حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه قال : هي بيت المقدس.[2]

سبب قوله : ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾

وذلك أن قائل ذلك كان - فيما ذكر لنا - عهده عامرا بأهله وسكانه ثم رآه خاوياً على عروشه قد باد أهله وشتتهم القتل والسباء فلم يبق منهم بذلك المكان أحد وخربت منازلهم ودورهم فلم يبق إلا الأثر فلما رآه كذلك بعد الحال التي عهده عليها قال:

على أي وجه يحيي هذه الله بعد خرابها فيعمرها، فأراه كيفية إحيائه ذلك بما ضربه له في نفسه وفيما كان في أداوته وفي طعامه ثم عرفه قدرته على ذلك وعلى غيره بإظهاره على إحيائه ما كان عجبا عنده في قدرة الله إحياؤه رأي عينه حتى أبصره ببصره فلما رأى ذلك قال: ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ﴾.[3]

فقوله فيما حكاه القرآن: ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾!

لم يشك أن الله يحييها ولكن قالها تعجبا، فلقد تحيرت نفسه كيف يحيي هذه الله بعد موتها، أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه إبراهيم عليه السلام.. وقوله : ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي ﴾ اعتراف بالعجز عن معرفة

---

(١) تفسير الطبري ج٣ ص٢٩ .

(٢) تفسير الطبري ج٣ ص٢٩ .

(٣) تفسير الطبري ج٣ ص٢٩ .

طريقة الإحياء واستعظام لقدرة المحيي.[1]

فآماته الله مائة عام ثم بعثه ثم أمره أن ينظر إلى حماره كيف أحياه فأراه بما حضره ما غاب عنه.[2]

فما اختلقوه عليه أنه شك في البعث بقوله أنَّى يحيى هذه الله بعد موتها فأراه الله الآية في نفسه حيث أماته ثم أحياه فحينئذ أيقن بالبعث فقال أعلم أن الله على كل شيء قدير؛ لا يليق بما بالرجل طبق ما نعتقده من عصمة لأنبياء الله جميعا ـ على القول بأنه نبي ـ فعليه من قال إنه شاك كان مانعاً بعصمة الأنبياء.[3]

دلائل النص على عقيدة البعث:

أولا خصائص الزمن: ﴿ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾

قال قتادة: ذكر لنا أنه مات ضحى ثم بعثه قبل غيبوبة الشمس فقال: ﴿ لَبِثْتُ يَوْمًا ﴾ ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال: ﴿ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ فقال تعالى : ﴿ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.[4]

ثانيا: قدرة الله تعالى على إيقاف سنن الطبيعة:

في قوله تعالى : ﴿ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾

---

(١) الكشاف ج١ ص١٥٢ .

(٢) الحكيم الترمذي : الأمثال من الكتاب والسنة ج١ ص٢٣ . ط: دار ابن زيدون ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م ، تحقيق : د. السيد الجميلي .

(٣) أبو الحسين الأموي : تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء ج١ ص١٠٣ . ط: دار الفكر المعاصر ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م ، تحقيق د/ محمد رضوان الداية .

(٤) تفسير الطبري ج٣ ص٢٩ .

قال أبو جعفر: لم تغيره السنون التي أتت عليه وكان طعامه - فيما ذكر بعضهم - سلة تين وعنب وشرابه قلة ماء.[1]

ثالثا: مشاهدة العزير للبعث والإحياء:

فلما بعثه الله عز وجل بعد موته كان أول شيء أحيا الله فيه عينيه لينظر بهما إلى صنع الله فيه : كيف يحي بدنه فلما استقل سويا قال الله له أي بواسطة الملك : ﴿ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾.[2]

رابعا: زيادة إيضاح للدليل:

قال تعالى: ﴿ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ﴾

معنى ذلك: وانظر إلى إحيائي حمارك وإلى عظامه كيف أنشزها ثم أكسوها لحما.[3]

أي: انظر إليه كيف تفرقت أجزاؤه ونخرت عظامه ثم أحياه الله وعاد كما كان.[4]

والخلاصة:

فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك قد هلك وبليت عظامه وانظر إلى عظامه كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل ذهبت به الطير والسباع فاجتمعت فركب بعضها في بعض وهو ينظر فصار حمارا من عظام ليس له لحم ولا دم ثم إن الله كسا العظام لحما ودما فقام حمارا من لحم ودم

---

(١) تفسير الطبري ج٣ ص٣٨ .
(٢) تفسير الطبري ج٣ ص٣٨ تفسير ابن كثير ج١ ص٤٢١ .
(٣) تفسير الطبري ج٣ ص٣٨ .
(٤) فتح القدير ج١ ص٤٢١ .

وليس فيه روح ثم أقبل ملك يمشي حتى أخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه فنهق الحمار.[1]

قال ابن عباس : ﴿ خَاوِيَةٌ ﴾ خراب.[2]

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة بن المفضل عن محمد بن إسحاق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه:﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ لم يتغير.

عن الضحاك في قوله : ﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾

فنظر إلى حماره قائما وإلى طعامه وشرابه لم يتغير فكان أول شيء خلق منه رأسه فجعل ينظر إلى كل شيء منه يوصل بعضه إلى بعض فلما تبين له قال : ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.[3]

هذه القصة التي فيها موت البشر مائة عام وموت حماره ومعه طعامه وشرابه ثم إحياء هذا الميت وإحياء حماره وبقاء طعامه وشرابه لم يتغير ولم يفسد وهو في دار الكون والفساد التي لا يبقى فيها في العادة طعام وشراب بدون التغير بعض هذه المدة وهذا يبين قدرته على إحياء الآدميين والبهائم وإبقاء الأطعمة والأشربة لأهل الجنة في دار الحيوان بأعظم الدلالات.[4]

﴿ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ﴾

قال الفراء : إنه أدخل الواو في قوله : ﴿ وَلِنَجْعَلَكَ ﴾ دلالة على أنها

---

(١) تفسير الطبري ج٣ ص٣٨ .
(٢) تفسير الطبري ج٣ ص٢٩ .
(٣) تفسير الطبري ج٣ ص٣٨ .
(٤) درء التعارض ج٤ ص٦٠ .

شرط لفعل بعدها معناه : ولنجعلك آية للناس ودلالة على البعث بعد الموت جعلنا ذلك.[1]

والمعنى عنده فعلنا هذا لنجعلك دليلا للناس وعلما على قدرتنا ومثله وحفظا.[2]

(١) فتح القدير ج١ ص٤٢١ .
(٢) معاني القرآن ج١ ص٢٨١ .

النص السادس

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠) ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﴾

مناسبة القصة لما قبلها:

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك : ألم تر إذ قال إبراهيم : رب أرني وإنما صلح أن يعطف بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﴾ على قوله : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ﴾ وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ لأن قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ ليس معناه : ألم تر بعينيك وإنما معناه : ألم تر بقلبك فمعناه : ألم تعلم فتذكر فهو وإن كان لفظه لفظ الرؤية فيعطف عليه أحيانا بما يوافق لفظه من الكلام وأحيانا بما يوافق معناه.[١]

سبب قيله هذا: عن قتادة قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ ذكر لنا أن خليل الله إبراهيم أتى على دابة توزعتها الدواب والسباع فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾.[٢]

وقيل: أراد بهذا السؤال أن يضم علم الضروري إلى علم الاستدلالي لأن تظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين ولأنه لما قال

---

(١) تفسير الطبري ج٣ ص٤٩ .

(٢) تفسير الطبري ج٣ ص٤٩ .

للنمرود ربي الذي يحيي ويميت، أحب أن يترقى من علم اليقين إلى عين اليقين وأن يرى ذلك مشاهدة فقال: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾.(١)

قال الحسن في قوله ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾

إن إبراهيم كان لموقنا أن الله يحيي الموتى ولكن لا يكون الخبر عند ابن آدم كالعيان.(٢)

قال السدي: لما اتخذ الله إبراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه أن يأذن له أن يبشر إبراهيم بذلك فأذن له فأتى إبراهيم ، قال : أنا ملك الموت جئتك أبشرك بأن الله قد اتخذك خليلا ! فحمد الله وقام إبراهيم يدعو ربه يقول:

رب أرني كيف تحيي الموتى حتى أعلم أني خليلك ! قال : أو لم تؤمن بأني خليلك ؟ - يقول : تصدق - قال بلى ! ولكن ليطمئن قلبي بخليلتك.(٣)

قال علي بن حزم الظاهري وأجاد:

ولكن للعيان لطيف معنى ... له سأل المعاينة الكليم

واعلم أن تقوية يقين الأنبياء من الحكم الإلهية لأنهم بمقدار قوة اليقين يزيدون ارتقاء على درجة مستوى البشر والتحاقا بعلوم عالم الحقائق ومساواة في هذا المضمار لمراتب الملائكة.(٤)

وقيل : إنه طلب الحياة الأخروية :

---

(١) عمدة القاري ج١٨ ص١٢٨ ، تفسير ابن كثير ج١ ص٤٢٢ .

(٢) تاريخ دمشق ج٦ ص٢٣٢ .

(٣) تفسير الطبري ج٣ ص٤٩ .

(٤) التحرير والتنوير ج١ ص٢٤٢٥ .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ كان يطلب أن يريه الحياة الأخروية المعراة عن شوائب الآفات الدنيوية.(١)

يقول البيضاوي: وكفى لك شاهدا على فضل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الأدب في السؤال أنه تعالى أراه ما أراد أن يريه في الحال على أيسر الوجوه.(٢)

ومن خلال المطالعة تبين لنا أن الخليل إبراهيم عليه السلام لم يكن قوله هذا من قبيل الشك في القدرة ولا في كون البعث محققاً ولكنه كان كما ذكرنا من قبيل طلب عين اليقين بالرؤية العينية، فقد سأله بالنفي فأجابه بـ" بلى " التي هي جواب النفي لإثبات المنفي كأنه قال له ألست مؤمنا بالبعث قال بلى معناه أنا مؤمن به كما علمت لكنني أريد أن يطمئن قلبي برؤية الكيفية فقال تعالى له فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك أي أملهن إليك بالإحسان والتعليم لكي تدعوها فتأتيك مجيبة لدعائك، وقد جاءت السنة المطهرة بما يشهد بهذا القول.

شهادة السنة لإبراهيم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ**» ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِيَطْمَئِنَّ﴾].(٣)

(أحق) أولى بالسؤال عن كيفية الإحياء أو الشك فيه لو كان

---

(١) الراغب الأصفهاني : مفردات القرآن ج١ ص٣٨٠ . ط: دار القلم ، دمشق .

(٢) تفسير البيضاوي ج١ ص٥٦٢ .

(٣) صحيح البخاري ج٣ ص١٢٣٣ وأخرجه مسلم في الإيمان باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة . وفي الفضائل باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ رقم ١٥١ . قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

سؤاله شكا ولكنه طلب المزيد من اليقين والاطمئنان .

﴿ لِّيَطْمَئِنَّ ﴾ ليسكن ويصير علم اليقين عندي عين اليقين بالمشاهدة.(١)

يقول النووي شارحا لقوله ﷺ : «نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ» .
اختلف العلماء في معنى نحن أحق بالشك من إبراهيم على أقوال كثيرة أحسنها وأصحها:

ما قاله الإمام إبراهيم أبو إبراهيم المزني صاحب الشافعي وجماعات من العلماء معناه:

إن الشك مستحيل في حق إبراهيم فإن الشك في إحياء الموتى لو كان متطرقا إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به من إبراهيم وقد علمتم أني لم أشك فاعلموا أن إبراهيم عليه السلام لم يشك.(٢)

وفي سنن ابن ماجة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وتقديماً لإبراهيم على نفسه «أَنَا أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ» أي أنا لم أشك وأنا دونه فكيف يشك هو ؟(٣)

وقيل إن الشك كان في استجابة الدعاء:

قوله ﷺ : [نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ] لم يرد به إحياء الموتى إنما أراد به في استجابة الدعاء له وذلك أن إبراهيم عليه السلام قال: رب أرني كيف تحيي الموتى ولم يتيقن أنه يستجاب له فيه يريد:

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص١٦٥٠ .
(٢) صحيح مسلم ج١ ص١٣٣ .
(٣) سنن ابن ماجه كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ج٢ ص١٣٣٥ قال الشيخ الألباني : صحيح .

في دعائه وسؤاله ربه عما سأل فقال ﷺ : [نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ] به في الدعاء لأنا إذا دعونا ربما يستجاب لنا وربما لا يستجاب ومحصول هذا الكلام أنه لفظة إخبار مرادها التعليم للمخاطب.(١)

دلائل القدرة على البعث:

أولا جعل الإحياء رأي العين:

﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ ﴾ أمر الحق سبحانه بهذا ليريه رأي العين ويعاين اليقين.

قال مجاهد الأربعة من الطير: الديك والطاووس والغراب والحمام.(٢)

ثانيا : التمهيد للوصول بإبراهيم إلى عين اليقين:

﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ فأملهن واضممهن إليك لتتأملها وتعرف شياتها لئلا تلتبس عليك بعد الإحياء.(٣)

﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ بمعنى : قطعهن.(٤)

ثالثا زيادة العسرة في الأمر حتى يكون اليقين أبين:

﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ أي: قطعهن ، كأنه قال: خذ إليك أربعة من الطير فقطعهن ﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ﴾ ثم أمر أن يخلط ريشها ولحومها ثم يفرق أجزاءها بأن يجعلها على أربعة أجبل ففعل ذلك

---

(١) صحيح ابن حبان ج١٤ ص٨٨ ط: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط .

(٢) تفسير الطبري ج٣ ص٤٩ .

(٣) تفسير البيضاوي ج١ ص٥٦٢ .

(٤) تفسير الطبري ج٣ ص٤٩ .

إبراهيم عليه السلام وأمسك رؤوسهن عنده.[1]

لأن إراءة الآيات تزيد يقين الرائي بوجودها الحاصل من قبل الرؤية فإن فطرة الله جعلت إدراك المحسوسات أثبت من إدراك المدلولات البرهانية.[2]

ذكروا أنه ذبحهن ثم قطعهن ونتف ريشهن ومزقهن وخلط بعضهن ببعض ثم جزأهن أجزاء وجعل على كل جبل منهن جزءاً قيل أربعة أجبل وقيل سبعة.[3]

رابعا : مشاهدة التجمع والالتئام:

﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ ﴾ قل لهن تعالين بإذن الله تعالى.

﴿ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ ساعيات مسرعات طيرانا أو مشيا.[4]

ثم أمره الله تعالى أن يدعوهن فدعاهن كما أمره الله عز وجل فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش والدم إلى الدم واللحم إلى اللحم والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها إلى بعض وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذي في يد إبراهيم عليه السلام فإذا قدم له غير رأسه يأباه فإذا قدم إليه رأسه تركب مع بقية جسده بحول الله وقوته.[5]

خامسا : عودة الروح والحياة لكل طائر:

اجتمع بدن كل طائر على ما كان عليه وهو ينظر إلى قدرة الذي يقول للشيء كن فيكون فأتين إليه سعياً ليكون أبين له وأوضح

---

(١) الوجيز للواحدي ج١ ص١٨٦ .

(٢) التحرير والتنوير ج١ ص٢٤٢٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ج١ ص٤٢٢ .

(٤) تفسير البيضاوي ج١ ص٥٦٢ .

(٥) تفسير ابن كثير ج١ ص٤٢٢ .

لمشاهدته من أن يأتين طيرانا ويقال إنه أمر أن يأخذ رؤوسهن في يده فجعل كل طائر يأتي فيلقي رأسه فيتركب على جثته كما كان فلا إلـه إلا الله.[١]

يقول البيضاوي: وفيه إيماء إلى أن إحياء النفس بالحياة الأبديـة إنما يتأتى بإماتة حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطـاووس والصولة المشهورة بها الديك ، وخسة النفس وبعد الأمل المتصف بهما الغراب ، والترفع والمسارعة إلى الهوى الموسوم بهما الحمام ؛ وإنمـا خص الطير لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص الحيوان.[٢]

ولهذا قال تعالى: ﴿ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

أي: عزيز لا يغلبه شيء ولا يمتنع من شيء وما شاء كـان بـلا ممانع لأنه القاهر لكل شيء حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.[٣]

﴿ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ لا يعجز عما يريده ولا يمتنع عليه.

﴿ حَكِيمٌ ﴾ ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره.[٤]

****

(١) البداية والنهاية ج١ ص١٦٧ .
(٢) تفسير البيضاويج١ ص٥٦٢ .
(٣) تفسير ابن كثير ج١ ص٤٢٢ .
(٤) تفسير البيضاوي ج١ ص٥٦٢ .

الخاتمة

ـ نسأل الله حسنها ـ

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وبعد:

فإننا قد وصلنا إلى نهاية هذه الرحلة الشيقة الشائقة مع الذين بعثهم الله بعد موتهم أحياء، ودلالة قصصهم على عقيدة التوحيد، وقد خلصنا إلى النتائج الآتية:

١ـ أن القرآن الكريم دلل على إمكانية وقوع البعث بعد الموت بطريق الوجود والعيان وهو طريق بلوغ عين اليقين بالمشاهدة والرؤيا، وبطريق الاعتبار والقياس بطريق قياس الغائب على الشاهد.

٢ـ أن الروح لها في القرآن الكريم خمسة معان:

الوحي، القوة والثبات والنصرة التي يؤيد بها ـ سبحانه ـ من شاء من عباده المؤمنين، جبريل عليه السلام، الروح التي سأل عنها اليهود فأجيبوا بأنها من أمر الله، المسيح ابن مريم عليه السلام وأما أرواح بني آدم فلم تقع تسميتها في القرآن الكريم إلا بالنفس.

٣ـ هناك من قال بأن النفس والروح يطلق كل منهما على الآخر ولكن الأرجح عندي أنهما متغايرتان، فإن النفس الإنسانية هي الأمر الذي يشير إليه كل واحد منا بقوله أنا، أما الروح فلا يعلم كنهها على الحقيقة إلا الله.

٤ـ أن الروح لا تفنى بفناء بفناء الجسد لأن العرض لا يقع إلا على حي فقد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الأمة أن الروح تبقى بعد فراق البدن وأنها منعمة أو معذبة.

٥- أن للموت أجلا معلوما ووقتا محدودا ينتهي حين الموت على صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار خلود فلا موت .

قال تعالى ﴿كِتَاباً مُّؤَجَّلاً﴾ (١).

٦- أن المقتول عند أهل الحق ميت بأجله الذي قدره الله له وعلم أنه يموت فيه .

٧- الاستدلال القطعي على أن الإيمان بالله تعالى أمر مستقر في الفطر والعقول ، وأنه لا عذر لأحد في الكفر به وذلك من خلال قول الله تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢)

فالذي أحياهم بعد أن كانوا أمواتا ثم أماتهم بعد أن أحياهم ما الذي يعجزه عن إحيائهم بعد ما يميتهم ؟ .

٨- تقرير الله تعالى لميعاد الأبدان بإخباره بوقوع إحياء موتى بني إسرائيل كما أخبر بذلك في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣).

٩- قدرة الله تعالى على إيقاف سنن الطبيعة في قوله تعالى : ﴿فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم تغيره السنون التي أتت عليه .

وبعد :

فما كان في هذا البحث من توفيق فمن الله تعالى وحده ، وإن كانت الأخرى - ولا أبغيها - فعذري أنني بشر وأخطئ أحيانا كذا البشر .

---

(١) الآية : ١٤٥ من سورة آل عمران .
(٢) سورة البقرة آية : ٢٨ .
(٣) سورة البقرة آية : ٥٦ .

وانني أستميح كل ناظر في بحثي هذا العذر لما عساه أن يبدو له فيه من قصور أو تقصير :

فما سلم الكمال لذات شخص	ولا إنسان من عيب سليم
ويعلو كل مقتدر قدير	ويعلو كل ذي علم عليم

وحسبي إخلاص النية وحسن المقصد ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١)



(١) سورة يوسف آية : ٢١.